الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٦١ — ٣ أغسطس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4me Année, No. 161 — Lundi - 3 - 8 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ٣ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

البـــك والباشا

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سرّ (م) باشا رحمه الله قال : جاء يوماً الى زيارة الباشا رجلٌ دخل علىّ متهللاً مُشرقَ الوجه كأنه مُضاءٌ من داخله بشمعة . . . ويترنح عِطفاه كأنما تهزُّه أسرار عظمته ، ويمشى متخالعاً كالمرأة الجميلة التى أثقلها لحمُها وأثقلتها المعانى الكثيرة من أعين الناظرين إليها ، وعلى شفتيه خيال من فكرة هؤلاء الكبراء المغرورين الذين لا يأمر أحدهم رجلاً صغيراً إلا ليُعلمه أنه هو كبير فيكون فى الأمر شيئان : الأمر واللؤم . وأقبل علىّ فى هيئة شامخة لو نطقت لقالت : سبِّح اسمَ ربك الأعلى . سبِّح اللهَ الذى خلق فى الأسد شعرةً جبّارة خرج منها الأسدُ كله . . . .

سبحان الله ولا إلـه إلا الله . هذا (فلان باشا) الذى قرأت فى الصحف أمس أنهم أنعموا عليه برتبة الباشوية ؛ خلقه الله من تراب وحوّلت الرتبة هذا التراب الذى فيه إلى ذهب خالص ... ينظر إلىّ ورغمه أن تقف عيناه علىّ وعلى الحائط ؛ ولا تجد نفسه المزهوّةُ سبيلاً الى التعبير عن الرتبة إلا هذا الازدراء المنبعث من شخصه العظيم لمن لم يكن كشخصه . ما بين أمسِ

واليوم زاد هذه الزيادة الآدمية ، أو كأنما كانت صورته خطوطاً فقط فوضعت فيها الألوان . . .

(باشا) ! هذه الباء وهذه الألف وهذه الشين الممدودة ليست حروفاً خارجة من الأبجدية العامة ، فان الأبجدية قد تجعل الباء في بليد مثلاً ، والألف في أبله ، والشين الممدودة في شاهد زور مثلاً مثلاً . . . . بل تلك حروف من حروف الدولة منتزعة من قوة قادرة على أن تجعل لحياة صاحبها من الشكل ما يسبغه الفن على الحجر من شكل تمثال ينصب للتعظيم

قال : وكنت أعرف هذا الرجل وهو رجل أمي لا يحسن إلا كتابة اسمه كما تكتب الدجاجة في الأرض ... فكانت الرتبة عليه كاطلاق لفظ الحديقة على صخرة من الصخور الصَّلدة ؛ وهذا مما يحتمله المجاز بعلاقة ما . ولكن الذى لا يسوغ في المجاز ولا في مبالغات الاستعارة ولا في خرافات المستحيل أن تزعم الصخرة للناس أن لفظ الحديقة الذى أطلق عليها قد أنبت فيها أشجار الحديقة

***

قال صاحب السر : واستأذنت له على الباشا فسهل له الاذن وقال : هذا رجل أصبح كالورقة المبصومة بخاتم الدولة فلتكن ما هي كائنة فان لها اعتبارها . ثم تلقَّاه تلقي الهازل المتهكم وقال له : أهنئك بالنَّحوِ ى . . . مُبارَكون يا باشا . . . وأقبل عليه وبَسَطَ له وجهَه

وكان في الباشا دُعابة ظريفة يعرف بها ، وهو كثير النوادر والمُلَح ، وله خصيصة عجيبة فيكون بين يديه كدس من الأوراق التي تعرض عليه ينظر فيها ويقرؤها ويتدبرها ، وهو في ذلك يستمع الى محدثه ويراجعه ويرد عليه ، فيصرف الناس والأوراق في وقت واحد ، ويستعمل ناحيتين من فكره استعمالاً واحداً لا يُخل بالاصابة في شيء من هذه ولا من تلك

ثم قال للباشا الحديث وعينه الى ما بين يديه : هذه أوراق سرقة ثور عظيم فكم يساوى الثور العظيم الآن . . . ؟

قال صاحبنا الذكى الفطن : إذا كان من الثيران التي تعرض في المعارض وتنال المداليات الذهبية فقد يبعد سعره ويغالى به

قال الباشا : نعم نعم . إن من الثيران ثيراناً يُنعم عليها بالأوسمة ، ولكن هذا الثور الذى سألتك عنه يا باشا هو ثور محراث لا ثور معرض . . .

قال الآخر : إذا كان ثور محراث فمثله كثير فلا يكون ثوراً عظيما كما قلت وليست له إلا قيمة مثله

قال الباشا : أراني أخطأت ولعن الله العجلة ، فهذه أوراق سرقة حمار . . .

***

قال صاحب السر : وانصرفتُ عنهما بأوراق وقد رأيت يدَ الباشا مملوءة لصاحبنا بتحيات كلها صفعات . فلم يكن إلا يسير حتى خرج مبتهجاً يميد السرورُ بعطفيه . ثم دعاني الباشا ودفع إليَّ بطاقةً بالحاجة التي جاء فيها الرجل ثم قال :

يا ليت لنا في ألقاب الدولة لقب (رحمه الله) . . . ينعم به على مثل هذا . أتدرى يا بنى أن هذه الرتب وهذه الألقاب لم تكن في القديم إلا كوضع علامة الشرّ على أهل الشر ليهابهمُ الناس حتى كأنما يكتب على أحدهم من لقب بك أو باشا : مُلحق بالدولة . . .

وكان الشعب أمياً جاهلاً لا يستطيع الادراك ولا يحسن التمييز . فكانت الألقاب كالقوانين الشخصية الموضوعة في صيغة موجزة مفهومة متعينة الدلالة ، وكان كل من يحمل لقباً من الحكومة يستطيع أن يقول للناس : لقد وضعت الحكومة كلمة الأمر في شفتي . . . .

وكأن اللقب إعلان من الحكومة المستبدة لشعبها الجاهل : إن هذا البك والباشا ممن يحقُّ له أن يخشى فيجب له أن يحترم (١)

من الهزل أن يشترى اسمُ النصر الحربيّ أو بوهب أو يُعار ؛ وأقبح منه في باب الهزل أن ينعم على مثل هذا الأمىّ بلقب باشا . وأنا أعرف أنه قد بذل في سبيله ما بذل وأضاع ما أضاع فكأن الذين منحوه إياه لم يفعلوا شيئاً إلا وضع توقيعهم على أخذ الثمن . . .

ولقد أصبح الرجل تحت تأثير الكلمة العظيمة مخبولاً بسحرها الوهمي فحَسِبَ ذلك إدخالا له في وظيفة كل حاكم وإشراكا له في الحكم متى اقتضته مجارى أموره وأحواله أو حاجات أسبابه وأتباعه . وها هو ذا قد جاء يطلب حقه فان مثله لا يفهم من لقب (باشا) إلا أن الحكومة قد سوَّغت سلطته الظهورَ والعمل فمدَّتْ باعه وقوَّتْ أمره ونوَّهت باسمه لمصالحها وعمالها ؛ فهو عند نفسه قد التحم منذ اليوم بالنسب

(١) بسطنا شيئاً من فلسفة الرتب والألقاب في مقالة (بنت الباشا) من مقالاتنا في الرسالة

الحكومى : وفى كلة واحدة هو قد وُلد من بطن الحكومة ...

ألا ترى أن الشعب لو استردَّ سلطته الكاملة وأن الناسَ لو أيقنوا أن هذه الألقاب ألفاظٌ فارغة من الأمر والنهى والوسيلة والشفاعة لما بقى من يعبأ بها ولكان حاملها هو أول من يسخر منها ؟ فهى إذن شعبذة من الحكومة وتضليلٌ فى مثل هذا الرجل الأمىّ ، وهى ضربٌ من التهويل والمبالغة فى سواه من الكبراء والعظماء ؛ كأن الوزير الذى يلقب بالباشا يجعل فيه لقبه وزيرين ، وكأن مثل هذا الأمىّ المغفل يجعل فيه لقبه شخصاً آخر غير الأمىّ المغفل

أنا قلما رأيت رجلاً يحتاج إلى ألقاب يتعظم بها إلا وهو لا يستحقها ؛ وقلما رأيت رجلاً يستحقها إلا وهو لايحتاج إليها ؛ فأين يكون موضع هذه الرتب والألقاب ؟

(سيدى بشر بالإسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه : الكلام كله تخيل ولا أصل أو حقيقة له)

— ٨ —

لو كانت ذات الثوب الأرجوانى مع « موسى » — عليه السلام — لمّا ذهب إلى فرعون يدعوه إلى ربه لكان الأرجح أن يؤمن ولا يكفر ، ولكان من المحقق — عندى على الأقل — ألا ينزل بمصر ما نزل بها من البلايا والضربات والمصائب الكُبَر . ولكن موسى — عليه السلام دائماً — لم يكن على ما يؤخذ من تاريخ حياته — يعرف مبلغ تأثير الأرجوانيات فلم يسأل الله أن يشد أزره إلا بأخيه هارون ؛ وقد فطن قومه إلى هذه الحقيقة ، ولكن بعد خراب البصرة . على أنى لا أرى ذات الثوب الأرجوانى تقينى شيئاً ولا أعرفها تدفع عنى بلاء . وإن المكاره جميعاً لتحيق بى تحت عينها ومع ذلك لا تحرك ساكناً ، ولا ترفع اصبعاً كابحاً ، فأى حب هذا بالله ؟ ؟ .... لكأنى بها تشمت بى ويسرّها أن يصيبنى كل يوم سوء ، وكأنما تظن أن حسبى كلما مسنى ضرّ أن أنظر اليها وهى قاعدة على كرسيها ، وإحدى ساقيها على الأخرى ، وذراعاها على حافة الشرفة ، وخدها على ظهر كفها ، وأصابعها تنقر على الحجر ، وقدمها الدقيقة تتحرك متابعة نقر الأصابع ، كأنها تحلم بصوت أو كأنما تدندن لنفسها بصوت خفيض ... وليتنى مع ذلك أسمع !! إذن لكان لى بعض العزاء ... ولقد سمعت صوتها إذ تكلم جارتها أو تدعو أخاها — أو هو لا بد أن يكون أخاها — ولكنى لم أسمع غناءها . وما من شك عندى فى أنه شجى وأن صوتها رخيم فانه خالص كالفضة . ولكنها بخيلة ... جدا ...

وآخر ما حدث مما لم تدفع عنى شره أنى بعد أن كتبت فصلا من هذه الفصول كان فى البيت لفيف من الأهل والأنسباء — قبحهم الله جميعاً — فقالوا ما هذا ؟ قلت : « فصل فى ذات الثوب الأرجوانى » . قالوا : من عساها تكون ؟ فكرهت هذا الفضول منهم — ولكنهم يحسبون أن كونهم أقارب يشفع لهم فى كل فضول — غير أنى كتمت مقتى لفضولهم — لا لهم هم — وقلت : « إنها من مخلوقات الخيال » فجعل هذا يزوم ، وذاك يحدق فى وجهى ، وثالث يقول لى : « عينى فى عينك ؟ » ورابع يقول : « طبعاً . طبعاً » إلى آخر ذلك . ثم اقترح واحد منهم — هو أخبثهم — أن أقرأه لهم ، فقلت : حتى ينشر . قالوا : بل الآن وهل ثم مانع ؟ وما الفرق بين أن نسمعه الآن وأن نقرأه مطبوعاً فى « الرسالة » ؟ ؟ فاقتنعت — لا أدرى كيف ؟ — وشرعت أقرأ لهم ، وليتنى ما فعلت فقد كنت كأنما بعت نفسى ..

وقال أحدهم : « اسمع . . ما دام أن الأمر كما تقول فان من الواجب تغيير كذا وكذا وإبداله بكيت وكيت . . . »

فقلت : « هذا مستحيل . . لقد كتبت ما خطر لى وانتهى الأمر »

قال : « كلا . . يجب أنْ تجعل الرجل الذى تتحدث بلسانه أرق مما يوهم كلامك »

قلت : « ولكنه هكذا . . وقد خلقه الله كذلك فكيف أشوهه أنا ؟ ؟ »

قال : « إذن هو شخص حقيقى . ؟ »

قلت — وقد أحسست أنى وقعت — « يا أخى ومالك أنت ؟ . إن صورته فى ذهنى هى كما أصف . ولست أستطيع أن أغيرها إلا إذا استطعت أن أغير طريقة تفكيرى وصبغة خيالى . . وهذا شىء لا قِبلَ لى به فأقصر بالله عليك »

فشرعوا يتهكمون ويسخرون . وقال أحدهم : « هل قالت إن أنفه أقنى ؟ ؟ »

قلت : « كلا فانى أستقبح هذا النوع من الأنوف »

قال : « إنى واثق أنك كنت تتصورنى وأنت تصف هذا العاشق المدنف ، ولهذا أرى من حقى أن أستشار فيما تكتب عنه »

قلت : « إن عاشقى ليس مدنفاً ... هو على العكس صحيح معافى ... ثم إنك آخر من يصلح لهذه المواقف الانسانية ... ولست مجنوناً حتى أصفك فى قصة »

قال : « هل تسمعون ؟؟ لا بأس !. عض اليد التى تطعمك وتغذيك !!. هذا جزاء من يسمح لك أن تصور شخصيته البارعة .. لا بأس ! ! ولكنى لا أفهم كيف تكون هذه الحبيبة عصرية ولا يكون لها كلب ؟ . أو على الأقل جرو صغير ؟؟ .. نعم لا بد من كلب فقم أدخله فى القصة »

فقلت بغيظ : « يكفى أنك ستقرأها فيتحقق مرادك »

فلم ينهزم وقال : « صحيح ؟ ؟ ولكن هذا لا ينفى أن الفتاة المسكينة لا كلب لها إلا على بعد ثلاثين متراً ! ! كلا . هذا لا يليق ! ! اسمع منى وغير ما كتبت .. وهأنذا مستعد أن أساعدك .. إن المناسبة توجد الرجل الصالح .. وأنا أسألك باخلاص أى شىء أوفق من أن أمد يدى اليك لأشد أزرك ؟ وهل يليق بى أن أقعد ساكتاً وأنا أراك تخلط وترسم لنا صورة رجل وامرأة لا يمكن أن يمشى مثلهما فى الدنيا ؟ ؟ كلا — على التحقيق ... (والتفت الى الموجودين وسألهم) أهذا ينتظر منى ؟ ؟ . »

ولأول مرة فى هذه الجلسة سررت إذ سمعتهم جميعاً يقولون بلسان واحد « نعم »

ولكنه لم يعبأ بهم ومضى يقول : « هأنذا .. أجىء فى اللحظة الحافلة بالاحتمالات متنكراً فى زى رجل هرم وفى قدمى حذاءان قد يليقان بأبينا آدم — فقد زعموا أن طوله والعياذ بالله أربعون متراً — وبفم ليس لحلقه سقف . . حسن .. ولا يرانى أحد .. ولا تفطن الى وجودى الفتاة ذات الثوب الأرجوانى ، على الرغم من حذائى المهولين ... فأخرج منهما ، وأتسلق أنابيب المجارى حتى أبلغ الشرفة التى تتخذها ذات الثوب الأرجوانى ، غرفة جلوس ، وحجرة استقبال ، وبستاناً للنزهة ، وملعباً للتنس ومرصداً للأفلاك !! فأفاجئها وهى قاعدة تفكر فى حبيبها المخرف الذى لا يستطيع حتى أن يحرك إصبعاً يشير به إليها وأقول لها بخ بخ . . فتفزع وتصيح ياى . . ياى . . »

فلما سكنت الضجة قلت : « إنى أكتب قصة ولست أصف ملعب مهرجين أو سرك حيوانات »

قال : « ما أحسن هذا الأدب ! ! أنت لا تستطيع أن تفهم المواقف الروائية ولهذا . . . »

فصاحت إحدى الفتيات الموجودات : « هس . . أظن أن هذه هى ذات الثوب الأرجوانى . . الحق إنها جميلة . . ويجب أن نعترف أنه معذور »

فعاد اللعين يقول : « آه . . لا شك . . لا شك . . جميلة جداً . . ولكن انظروا ماذا صنع بها ؟ ؟ لقد صارت فى يده . . أعنى فى وصفه لها . . ثوباً أرجوانياً لا فتاة من لحم ودم . . ولو أنه استمع لى . . »

وهنا ضاق صدرى ونفد صبرى ولم تبق لى طاقة على احتمال هذه السخرية فتناولت الورقات التى كانت مكتوبة وكنت أقرأها لهم ومزقتها كل ممزق

* * *

وليس هذا سوى مثل لبعض ما ألقى فى سبيل ذات الثوب الأرجوانى ، وهى لا تعبأ ولا تبالى ! ! والحق أقول إنى لم أعد أفهم شيئاً من أمرها . فأما أنها معنية بى فهذا ما لا يخالجنى شك فيه . ولقد حرصت مرات على أن أتبين هل فى العمارة التى أسكن إحدى شقاتها من يغازلها أو يناجيها أو يصنع ما يصنع المعجب أو العاشق أو المفتون ، فلم أجد أحداً . وكثيراً ما انحدرت إلى الشارع ووقفت على الرصيف الآخر المقابل لرصيفنا ونظرت إلى عمارتنا ، وقد وجدت فى كل مرة أن النوافذ جميعاً إما موصدة أو لا أحد فيها . ثم إنى أعرف متى يكون مساكنىّ فى بيوتهم ومتى يخرج كل منهم ؛ فقد لاحظتهم جميعاً وعرفت عاداتهم — حتى الشبان اللاعبين الذين تخشى مزاحمتهم — فلا أحد هناك تنظر اليه أو ينظر اليها سواى فى هذه العمارة الضخمة ذات الطبقات السبع . فهى لا شك تعنينى وحدى بكل ما يبدو عليها من ارتياح واشمئزاز ، ومن نفور واقبال ، وأنا المقصود بكل ذلك ، ومؤدى هذا أن لها عناية بى ، وليس المهم أن تكرهنى أو تحبنى فان المآل واحد فى الحالتين ؛ ومتى نجح الرجل فى لفت المرأة اليه فانه يستوى أن تظهر له البغض وأن تبدى المودة ؛ فان المهم أنها صارت تعنى به ، وأنها أصبحت مشغولة بأمره ، ولا بد أن يؤدى هذا إلى الحب آخر الأمر . فليس للحب أول عند المرأة إلا العناية

مهما كان باعثها والداعي إليها ، ولا ريب في عنايتها بي . بل في وسعي أن أقول وأنا آمن ومطمئن إنها تدرسني في الصحة والمرض ، والسرور والحزن ، والضحك والكآبة ، والجد واللعب . بل هي ترصد كل حركة لي ، وكل إشارة ، وتتبع ما يصدر عني وما يكون مني ما دمت بادياً لها ، وقد كنت أمس أنظر من الشرفة إلى الطريق وأتأمل الرائحين والغادين وأسرّي عن نفسي بمناظر الناس وما يكون منهم ، فاتفق أن رأيت فتاة في ثوب بني محبوك وحذاءين خيّل إليّ أن أحدهما أبيض والآخر أسود ، فاستغربت أن تلبس فتاة حذاءين مختلفي اللون ، ودعوت إحدى من في البيت إلى النظر فوقفت مستغربة مثلي ، وكانت الفتاة تروح وتجيء على الرصيف في انتظار الأمنيبوس ، وقد أبطأ عليها فطال تمشيها أمامنا ، وطال عجبنا من حذاءيها المختلفين ، وكنت أشير اليها وأنا أتحدث عنها ثم رفعت رأسي إلى شرفة الأرجوانية فاذا فتاتي قد نهضت وانحنت تطل على هذه الاعجوبة ، وقد ظهر لنا أن الحذاءين ليسا مختلفين وأن كلا منهما نصفه أبيض والنصف الآخر أسود . ولما كانت الفتاة تسير وجانبها إلينا فانه لم يكن يبدو لنا من لوني كل حذاء إلا جانب واحد ، ولهذا ظنناها بالغت وأسرفت في الأناقة الى حد اتخاذ حذاءين : واحد أبيض ، والثاني أسود

أريد أن أقول إن بال الأرجوانية إليّ — لاشك في ذلك — وأن عينيها على كل حركة لي وأنها تتعقب إشاراتي — وكلامي أيضاً — وتحاول أن تدرك المقصود منها والمراد بها ، ولم أقص حكاية الحذاءين وصاحبتهما إلا على سبيل التمثيل . وثم قصص أخرى تجري هذا المجرى وتؤدي إلى هذه الدلالة ، وفي ذكرها تطويل لا موجب له . ومع ذلك تجاهد ذات الثوب الأرجواني أن تخفي حبها — أو على الأقل عنايتها الشديدة — وتروح تغالطني فتبدي لي صفحة الاعراض بعد أن تشير لي بوردة وتطمعني بهذه الايماءة الرقيقة . وما أكثر ما تنتفض قائمة كأنما شكها أحد بسيخ محمّى وتخرج ثم لا تلبث أن تعود ضاحكة مشرقة الديباجة !! ويجن الليل فتجعل من شرفتها مرصداً لأنها هي في الظلام وأنا في النور . وتظن أني لا أراها . وأنا يحلو لي أن أجلس في الصيف في شرفتي وأتمشى فيها أيضاً ، فان الغرف حارة حامية كاوية ، كنار الله الموقدة ، والعياذ به تعالى وليس أحلى من ليالي الصيف إذا لم يركد الهواء . فاذا جلست في شرفتي جعلت ذات الثوب الارجواني تراعيني من مكمنها المظلم وهي تحسب أني غافل عنها ، أو أني لا أرى في الظلام . ولها العذر . ومن أدراها أن لي عيناً كعين القطة ؟ — ترى في الظلمة كما ترى في النور ... وأحسب أن الارجوانية قد صارت تعرف كل شيء عني فليس عندي ما أكتمه . وإذا كان أحد من خلق الله يؤمن بالسر فاني لا أومن بذلك ، ولا أعتقد أن في الدنيا شيئاً يبقى سراً مكتوماً . ولهذا أرى أن من العبث أن أحاول كتمان أمر . وما دام ليس هناك ما يخزيني فلماذا أتكتم وأتستر ؟؟ ولابد أن يعرف الناس ما تحاول إخفاءه ، فأولى بك أن تدعهم يعرفونه منك اتقاء للتشويه ، واجتناباً للغلط وسوء التصور . ولكني لا أعرف عنها إلا القليل البادي لأنها فتاة وليست رجلاً مثلي . وللرجل من الحرية ما ليس للمرأة . وقد لا يضير الرجل أن يعرف عنه الناس أنه عاشق ، ولكن فتاة صغيرة غضة السن قد يضيرها ذلك ، ولا سيما إذا كانت لا تعرف آخرتها مع الرجل الذي ترى قلبها مجذوباً إليه . ومن هنا أعذرها ، ولكن الذي لا أستطيع أن أتبين وجه العذر فيه أو الحكمة هو هذا التقلب ، فانها تارة ترضى وأخرى تغضب ، ومرة تقبل وطوراً تنفر . وإنها لتقبل أحياناً حتى لا تبقى عندي ذرة من الشك في سرورها بحبي لها وحتى لأحس برغبة شديدة في أن أقفز من النافذة إذ يخيل لي في هذه اللحظات أني أستطيع أن أطير إليها من فرط الخفة والسرور ، ثم تعرض وتنفر فيثقل على نفسي ذلك حتى لأهم بأن أضرب حجارة الشرفة بيدي وأركلها برجلي كأنها هي المسئولة عما أرى من إعراضها .. ولا سبب أعرفه لاقبالها ولا لاعراضها فما بيننا أكثر من النظر .. ولو شاءت لكان بيننا ما يختصر هذه الثلاثين متراً ويجعلها متراً أو نصف متر أو شبراً أو أقل من ذلك .. ولكنها لا تشاء . وأكبر الظن أن ليس لمشيئتها دخل في الأمر وأن رغبتها لا تقدم أو تؤخر .. كان الله في عونها .. وفي عوني أنا أيضاً ، فان ضيق صدرها بما تجد من القيود التي حولها ينقلب على أم رأسي أنا .. وما لي ذنب ولكن العامة صدقوا في قولهم « ضربوا بتاع الكسبري ... »

ابرهيم عبد القادر المازني

(تنبيه — وقع خطأ مطبعي في أبيات لي قديمة رويتها في الفصل السابق فكتب الحياة (بالتاء المربوطة) الحياء بالهمزة ، وكذلك النجاة (تاء مربوطة) كتبت بالهمزة . والصواب في الاثنتين بالتاء ، وتنطق في البيتين هاء لا أدري لماذا ، وشعري لا ينقصه أن يزيد فساداً بالخطأ الطبعي — المازني)

المقرى مؤرخ الأندلس

حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

يقسم المقرى كتابه عن الأندلس إلى قسمين كبيرين ، يخصص أولهما للتعريف بالأندلس وتاريخها وآدابها ، والثانى للتعريف بابن الخطيب . ويشتمل كل قسم على ثمانية أبواب ، فيشمل الأول وصف الأندلس وجغرافيتها وفتحها على يد موسى وطارق ، وتاريخها فى عهد الولاة وبنى أمية وملوك الطوائف ، ووصف قرطبة ومعاهدها وضواحيها ومتنزهاتها ، ثم التعريف بالراحلين من الأندلس إلى الشرق ، والوافدين من المشرق على الأندلس . واستعراض آداب الأندلس ومنثورها ومنظومها ، ثم تاريخ الصراع الأخير بين الأندلس واسبانيا النصرانية وسقوطها الأخير فى يد النصارى . ويشمل القسم الثانى على نشأة ابن الخطيب ، وتدرجه فى طريق المجد وما لقى من الأحداث والمحن حتى وفاته ، وذكر أساتذته وأشياخه ، وما وجه اليه من الرسائل الملوكية ومن أكابر عصره ، ومقتطفات كبيرة من كتبه ورسائله ونثره ونظمه ، وذكر مؤلفاته وذكر بعض تلامذته الآخذين عنه ، ثم ذكر أولاده ووصيته

ويشغل الكتاب كله أربعة مجلدات ضخمة ، كل قسم مجلدين ؛ فهو كما قدمنا موسوعة صحيحة سواء من ناحية حجمه أو محتوياته ؛ ذلك أن المقرى يحشد فى كل باب من هذه الأبواب العامة كثيراً من المعلومات والشذور والوثائق والرسائل والمختارات ؛ ويكاد كل منها يضارع كتاباً بأسره . ويجرى المقرى على قاعدة الاستطراد فينتقل بقارئه من موقف إلى موقف ، ومن شذرة أو رسالة أو قصيدة إلى أخرى حسبما تسوقه شجون الكلام والرواية . وقد ترد خلال حديثه أهم المعلومات والوثائق حيث لا ينتظر ورودها . وفى كثير من الأحيان ينقل المقرى الينا رسالة بأسرها أو كتاباً بأسره ؛ ولا يعنى المقرى بالتنظيم والتناسق ، وإنما يعرض مادة كتابه مبعثرة حسب التقسيم البسيط الشامل الذى ذكرناه

ذلك أن المقرى لم يكن مؤرخاً بالمعنى الحقيقى ، بل كان أديباً فقط ؛ وهو لا يزعم أنه مؤرخ أو محقق أو ناقد ، وإنما يقول لنا إنه ناقل فقط يورد من المعلومات والشذور ما اتفق ولا يعنى بتمحيصها أو تحقيقها [1] . ولكنا مع ذلك نشعر أن للمقرى فى كتابه شخصية قوية ، ونشعر بالأخص بأن حرارة خاصة تنبعث من هذه الصحف الأندلسية ؛ ذلك أن المقرى يكتب عن الأندلس بروح يضطرم اعجاباً وأسى ؛ ولا غرو فقد كانت ذكريات الأندلس ما تزال فى عصره حية مضطرمة فى المغرب ، ولم يكن قد مضى أكثر من قرن على سقوط الأندلس النهائى فى يد اسبانيا النصرانية ؛ بل لقد وقع فى عصر المقرى بالذات حادث أذكى هذه الذكريات الشجية ، هو نفى « الموريسكيين » أو العرب المتنصرين من اسبانيا (فى سنة ١٦٠٩م — ١٠١٧هـ) والعرب المتنصرون هم بقية الشعب الأندلسى المجيد أرغموا على التنصر بعد سقوط الأندلس ؛ وقد وفدت منهم عند النفى عشرات الألوف إلى ثغور المغرب وقواعده ، وعاد معظمهم إلى الاسلام . وشهد المقرى هذه الخاتمة المؤسية ، وهو يومئذ بفاس ، وشهد ألوفاً من أولئك العرب المتنصرين ، وتركت هذه الذكريات والمشاهد المؤلمة فى نفسه أعمق الآثار [2] ، وأذكت فى نفسه بلا ريب شغف التنقيب عن تاريخ الأندلس وماضيها المجيد وأيامها الزاهرة

وقد وضع المقرى كتابه عن الأندلس فى القاهرة كما قدمنا ، ولكنه كان قد جمع معظم مواده فى المغرب . ويقول لنا المقرى إنه عنى منذ شبابه بالتنقيب فى تاريخ الأندلس وأحوالها وآدابها ، وإنه استخرج من مراجعه أغزر المواد وأنفسها ، ولكنه تركها بالمغرب ، ولم يستصحب معه حين الرحلة سوى القليل منها ، ومنها أوراق سودها ، وأشياء علقت بذاكرته . ويقول لنا أيضاً : « إنه لو حضره ما خلفه مما جمع فى ذلك الغرض وألف ، لقرت به عيون ، وسرت ألباب ... » [3] ؛ وإذا كان المقرى

(١) راجع إشارة المقرى إلى ذلك فى نفح الطيب ج ١ ص ١٣٦
(٢) راجع حديث المقرى عن هذا الحادث ج ٢ ص ٦١٧
(٣) نفح الطيب — ١ ص ٥٧

يعنى بهذا القليل من مادته ما ضمنه كتابه ، فلا ريب أن ما جمعه من المواد الأصلية كان غزيراً جداً ، ذلك لأن هذا القليل الذى ضمنه « نفح الطيب » هو فى ذاته مجموعة حافلة من المواد والوثائق المختلفة التى تلقى أعظم الضياء على تاريخ الأندلس وآدابها

وقد قلنا إن المقرى ناقل ومصنف ؛ ولكن له فى هذا النقل والتصنيف فضلاً لا يقدر ؛ فقد نقل إلينا عشرات الشذور والوثائق من مصادر أندلسية جليلة لا وجود لها اليوم ، بل نقل إلينا رسائل وكتباً برمتها بددت ولم نظفر بأصولها حتى اليوم ؛ ولولا عناية المقرى بنقلها وتصنيفها لحرمنا الى الأبد من هذه المراجع والوثائق الهامة . ولقد كان المغرب الأقصى حتى عصر المقرى أعظم مستودع لتراث الأندلس الأدبى ؛ وكانت مكاتب المغرب ، ولا سيما مكتبة الأشراف السعديين ، عامرة إلى ذلك العهد بكثير من الآثار الأندلسية النادرة ؛ وكان لمولاى زيدان سلطان فاس لعهد المقرى شغف خاص بجمع الكتب النادرة ؛ وقد انتفع المقرى بهذا التراث الحافل ، واغترف منه وقيد ما شاء ؛ ولكن الظاهر أيضاً أن هذا التراث قد بدد معظمه بعدئذ بقليل ؛ ذلك أنه قد حدث فى أواخر عهد مولاى زيدان حادث يخيل الينا أنه ذو علاقة مباشرة بضياع الآثار الأندلسية ؛ وذلك أن السفن الأسبانية أسرت مركباً مغربية مشحونة بآلاف من الكتب والتحف المملوكة لمولاى زيدان ، وحملت شحنتها إلى اسبانيا ؛ ويشير السلاوى فى تاريخه الى ذلك الحادث نقلاً عن الرواية الأسبانية ، فيقول : «وقال منويل إن قراصين الأصبنيول غنمت فى بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان فيه آثار نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك» (١) وتقول الرواية الأسبانية إن وقوع هذا الحادث كان فى عهد فيليب الثالث ملك اسبانيا (١٥٩٨—١٦٢١ م) ؛ والظاهر أنه وقع نحو سنة ١٠٣٠هـ (١٦٢٠م) حينما اشتد اضطراب العلائق بين اسبانيا والمملكة الشريفية ؛ وعلى أى حال فقد حملت كتب مولاى زيدان ، وهى بلا ريب أنفس مجموعة من نوعها ، إلى اسبانيا ، وأودعت فى دير الأسكوريال إلى جانب بقية التراث الأندلسى التى كانت مودعة فيه منذ سقوط غرناطة ، فاجتمع

(١) الاستقصاء فى أخبار دول المغرب الأقصى ج ٣ ص ١٢٨

بذلك فى الاسكوريال نحو عشرة آلاف مخطوط عربى معظمها من تراث الأندلس ؛ ولكن محنة نزلت بهذا التراث النفيس ، فقد شبت النار فى الأسكوريال سنة ١٦٧١ ، والتهمت معظم الكتب العربية ، ولم يبق منها سوى ألفين ؛ وبقيت ضمن هذه المجموعات عدة من كتب مولاى زيدان لا تزال إلى يومنا فى الأسكوريال

وهذا فيما نعتقد هو السر فى اختفاء الآثار الأندلسية التى كانت تحفل بها قواعد المغرب ومكاتبه فى عصر المقرى ؛ وقد جمع المقرى مادته ودون مذكراته أثناء مقامه بفاس بين سنتى ١٠١٣ — ١٠٢٧ هـ (١٦٠٣ — ١٦١٦ م) ، وكان بذلك من أواخر أولئك الذين استطاعوا من أدباء جيله أن يظفروا بمراجعة هذا التراث والانتفاع به . ومما يدل على أن المقرى انتفع بنوع خاص بالمراجعة فى مكتبة مولاى زيدان التى فقدت ، أنه ينقل عن نسخة وحيدة من مسند ابن مرزوق المغربى كانت ضمن هذه المجموعة ولا تزال فى الأسكوريال (١) ، وكذلك يستقى معظم روايته عن سقوط غرناطة وعن العرب المتنصرين من كتاب « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ومنه نسخة وحيدة أيضاً فى الأسكوريال (٢)

ولا يتسع المقام هنا لاستعراض المصادر العديدة التى نقل عنها المقرى ، ما ضاع منها ، وما زال قائماً ؛ ويكفى أن نقول إن طائفة كبيرة من المصادر الأندلسية الجليلة التى ينقل عنها قد اختفت ودرست معالمها ؛ ومن ذلك تاريخ ابن حيان الكبير مؤرخ الأندلس ، وتواريخ الحميدى ، والحجارى ، وابن بشكوال والرازى وغيرهم ، وكتب عديدة لابن الخطيب ، وقد بقيت من تاريخ ابن حيان قطعة صغيرة نشرت أخيراً ؛ ووجدت منذ أعوام بالمغرب نسخة كاملة من كتاب الذخيرة لابن بسام ، وفيما عدا ذلك لم يظفر البحث الحديث بشىء من تلك المصادر الجليلة التى ينقل إلينا المقرى عنها بسخاء يزيد اليوم فى فضله وفى أهمية كتابه

***

(١) ليفى بروفنسال فى دايرة المعارف الاسلامية (مقال المقرى)

(٢) نشر هذا الكتاب — وهو لمؤلف مجهول — فى أواخر القرن الماضى بعناية أحد المستشرقين

ويتصل بمجهود المقرى عن الأندلس كتابه « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » ؛ وهو سفر كبير يخصصه لترجمة الفقيه الكبير عياض السبتي ، واستعراض آثاره ، على نحو ما يكتب عن ابن الخطيب في نفح الطيب ؛ بيد أنه يستطرد كعادته ، ويذهب في الحديث شجوناً شتى ، وينقل إلينا بعض الأقوال والوثائق المتعلقة بسقوط غرناطة وتاريخ الموريسكيين أو العرب المتنصرين ، ولهذه الوثائق على قلتها وإيجازها أهمية خاصة ، لأنها كل ما انتهى إلينا من الرواية الاسلامية في هذا الوطن ، وهي أقوال معاصرين للمأساة شهدوا بعض حوادثها بأعينهم أو سمعوا أخبارها في الضفة الأخرى من الأندلسيين الوافدين على المغرب ؛ منها رسالة لمجهول يظهر أنه من معاصري سقوط غرناطة يصف فيها نقض ملك قشتالة لعهوده ازاء المسلمين ، وما اتخذه النصارى من وسائل الارغام والقهر لاكراه المسلمين على التنصر ، وما فرضته محاكم التحقيق (التفتيش) على المخالفين من العقوبات المروعة ؛ ومنها قصيدة طويلة لابن العباس أحمد الدقون أحد علماء المغرب في القرن التاسع الهجري عنوانها « الموعظة الغراء بأخذ الحمراء » يرثي فيها الأندلس ؛ ومنها أيضاً وثيقة ذات أهمية تاريخية خاصة ، وهي رسالة كتبها أندلسي متنصر عقب سقوط غرناطة ، إلى بايزيد الثاني سلطان الترك يستغيث به ويستصرخه لنصرة إخوانه العرب المتنصرين ، ويصف له في شعر قوي التعبير على الرغم من ركاكته ، ما يصيب العرب المتنصرين من أهوال ديوان التحقيق وروائع مطاردته وعقوباته ؛ وهذه وغيرها من الوثائق والشذور التي ينقلها إلينا المقرى في أزهار الرياض قد ضاعت أصولها ، ولولا عناية المقرى بنقلها لما ظفرنا بها

وهذان الأثران الكبيران هما أهم ما في تراث المقرى . بيد أن للمقرى ثبتاً آخر من الكتب والرسائل الأدبية والدينية انتهى إلينا معظمه ؛ ومن ذلك : « إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » ، « فتح المتعال في مدح النعال المتشرفة بخير الأنام » . « حسن الثنا في العفو عمن جنى » . « قطف المهتصر في أخبار المختصر » « عرف النشق في أخبار دمشق » . « روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس » . « الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين » ، وغيرها (1)

وقد كتب المقرى معظم كتبه في القاهرة ؛ والمرجح أنها كتبت جميعاً أو كتب معظمها قبل نفح الطيب ، لأن المقرى لم يعش بعد كتابته طويلاً كما رأينا ؛ وكان المقرى يحتل في المجتمع القاهري الأدبي مكانة رفيعة ؛ ويكفي أن نذكر هنا ما وصفه به المحبي الذي ترجمه بعد ذلك بنحو نصف قرن : « حافظ المغرب . لم ير نظيره في جودة القريحة ، وصفاء الذهن وقوة البديهة ؛ وكان غاية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ، ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات » (2) ، والواقع أن المقرى يكتب بأسلوب قوي ، وبيان ساحر ، يشهدان له بغزارة البلاغة في عصر كان الأدب العربي يجوز فيه مرحلة انحطاط قوي

***

وقد أخرجت مطبعة بولاق كتاب « نفح الطيب » كاملاً في ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢) في أربعة أجزاء كبيرة ؛ وكان جماعة من المستشرقين على رأسهم العلامة دوزي قد عملت قبل ذلك لاخراج القسم الأول من كتاب نفح الطيب وهو الخاص بالأندلس بين سنتي ١٨٥٥ و ١٨٦١ تحت عنوان Analectes sur L'histoire et La littérature des Arabes d'Espagne ، ومهد لهذه الطبعة المستشرق دوجا بترجمة للمقرى ؛ وطبع نفح الطيب بالقاهرة بعد ذلك أكثر من مرة في أربعة أجزاء أيضاً على نسق طبعة بولاق . ونشر في تونس الجزء الأول من أزهار الرياض في سنة ١٩٢٢ ؛ ونشرت بعض آثار المقرى الأدبية ، مثل كتاب « حسن الثنا في العفو عمن جنى » (القاهرة) ، وظهرت في سنة ١٨٤٠ في لندن ترجمة انكليزية ملخصة للقسم الأول من نفح الطيب بقلم المستشرق الاسباني الدون جاينجوس تحت عنوان : « تاريخ الدول الاسلامية في اسبانيا » The History of the Mohamedan Dynasteis in Spain مقروناً بتعليقات وفهارس قيمة ، وترجم للمقرى غير من ذكرناهم أكثر من مستشرق مثل فستنفلد في كتابه « مؤرخو العرب » (بالألمانية) وبروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » (بالألمانية أيضاً) والأستاذ ليفي بروفنسال في كتابه « مؤرخو الأشراف » (بالفرنسية) ، وآخرون غير هؤلاء

محمد عبد الله عنان

(تم البحث — النقل ممنوع)

(1) راجع خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢-٣٠٣ وما بعدها ، وسلافة العصر ص ٤٩١

(2) المحبي في خلاصة الأثر

أثر النحو في تقويم اللسان

للأديب محمد طه الحاجري

قالوا ، في رسم النحو رسماً غائياً : إنه علم تعصم مراعاته اللسان عن الخطأ في الكلام ، ومضوا على هذا الاعتبار يضعون القواعد ، ويقيمون الحدود ، ويكدون الأذهان ، ويحملون على النشء في ذلك ما لا يحتمل . فاذا رأوا أن التوفيق إلى الغاية النبيلة قد أخطأهم ، وأن السبيل التي رسموها قد بعدت بهم ، لم يلتمسوا طريقاً آخر يكون أهدى إلى الغاية ؛ فحسبهم أن ينثروا الطريق بالأزهار ، وأن يزيحوا بعض ما فيه من الأحجار ، حتى تتبدل — في زعمهم — طبيعته ، وتستقيم نحو الغاية محجته ، ويبلغوا بذلك ما أعجز الأجيال السالفة ... وهكذا جعلوا كل همهم من الاصلاح اللغوى أن يهذبوا قواعد النحاة وينسقوها ويحذفوا فضولها ... ليصلوا بذلك إلى عصمة اللسان ، وهيهات هيهات ! !

وأنا ما عرضت لأمر الصلة بين تعليم النحو وتقويم اللسان إلا اندفعت أمام ذهني صورة صبي صغير لا يكاد يبلغ التاسعة ، وقد جلس على مقعده الصغير في المدرسة ، وأمامه كراسة أكب عليها ، وجعل ينظر في جمل منسوقة كتبت فيها ؛ وكان المعلم قد طلب منه ومن رفاقه أن يضبطوا أواخرها ، امتحاناً فيما علموه ، وتثبيتاً لما قد عرفوه ، فأخذ ذلك الصبي يتحسس ما كان قد ألقي عليه ، ويحاول أن يضبطه في ذهنه ، ويضبط به ما أمامه ؛ فكان ذلك عبثاً لم يجد عليه شيئاً ... وإذن فماذا يصنع ولا بد من الاجابة صواباً أم خطأ ؟ أخذ يقرأ الجملة ويجرب على كلماتها علامات الاعراب ، فكان يشعر عند بعضها بارتياح ، ويحسبها أدنى إلى ما يقرؤه في كتاب المطالعة وغيره من الكتب التي اعتاد أن يعبث بها ... فيثبت الشكل الذي ارتاح اليه ؛ ثم يمضي إلى غيره ، وهكذا ، ثم يعطي الكراسة للمعلم لتصحيحها ، فيغتبط حين ترد اليه فيعلم أنه لم يخطئ إلا قليلاً

أكانت المصادفة هي التي تملي على ذلك الصبي المسكين ، أم كان شيئاً آخر في طبيعته وكيانه هو البذرة الأولى المطمورة في أعماق النفس للسليقة العربية ، قد ورثها لأنها بعض ما يقوم الجنس الذي ولد بجميع مشخصاته ، ثم أخذت هذه البذرة تستروح نسيم الحياة في هذا الكلام العربي الذي يقرؤه صاحبها بين حين وحين ، فلا عجب أن يبرز فيها شيء من مظاهر هذه الحياة ، فتحاول تكييف ذوق ذلك الصبي ، بمقدار ما أتيح لها من حياة هينة ضعيفة مضطربة ؟ ؟

أما التفسير بالمصادفة فهروب من المسلك العلمي ، وأما السليقة العربية الموروثة فلا شك في وجودها ؛ وفي أنها وحدها التي تقوم ألسنتنا ، وتصحح عبارتنا ، على قدر ما تلقى من العناية والرعاية ، وعلى قدر ما نتعهدها به من التربية التي تناسب طبيعتها ، فأين نلتمس هذا النوع من التربية ؟

أنلتمسه في كتب النحو وقواعد العربية كما يفعل الناس جميعاً ، فيظن الواحد منهم أن من تجرع جرعات من الألفية أو الدروس النحوية كان خليقاً أن تصح سليقته ، ولا يخطئ من بعد في كلمة من الكلام ؟

لو جاز هذا الجاز للرجل الضعيف المتهالك أن يقرأ مجموعة من مجاميع الرياضة البدنية ، أو يستظهرها ، أو يستبطن أسرارها ومواطن تأثيرها ، فاذا هو قد أصبح ، بسحر هذه المجموعة ، قوياً نشيطاً مهزوزاً تتألق عليه الفراهة والعافية ، وإذا هو قد أصبح كذلك الرجل « الفلاح » الذي يغذي مواطن القوة فيه غذاءها الطبيعي من الشمس والهواء والعمل . ولكن أحداً لا يقول هذا ولا يتوهمه ، والأمر لا يعدو هذا القياس في تربية الغريزة اللغوية

وإني لأعرف فريقين من الناس بأعيانهم معرفة صحيحة صادقة يمثلان طرفي هذه الحالة التي نتناولها ويثبتان القضية التي نقررها طرداً وعكساً

أما أحد هذين الفريقين فقد صرف عن النحو صرفاً ، حتى لا يكاد يعرف من قواعد النحاة حرفاً ؛ ولكن مزاجه الفني أقبل به على ينابيع الأدب العربي فأقبل على الكتب الأدبية يقرؤها ويتذوقها ويملأ نفسه بما فيها من جمال ومتعة ، فصفت بذلك سليقته ، وصحت ملكته ، حتى ليحس اللاحنة في الكلام ، كما يحس الموسيقي النشوز في الألحان . واستقام لسانه حتى لا يكاد يلحن أو يخطئ

وأما الفريق الآخر فطائفة من شيوخ الازهر الذين أدركنا أعقابهم ، قرأوا من كتب النحو الأجرومية والكافية وما بينهما ، وأحاطوا بقواعد النحاة وما دار حولها من خلاف

وجدل ، وربما أدركوا سر الكثير منها ، ثم كان الواحد منهم مع هذا لا يكاد يصيب فيما يقرأ أو يكتب إلا بعد تكلف شديد ، فما أغنى عنه ما بذل من جهد جهيد وعمر مديد فى قراءة النحو وتفهم مشكلاته واستيضاح غوامضه . فماتت سليقته اللغوية ولما تستروح الحياة ، لأنه لم يمدها بالغذاء الطبيعى الحى الذى يمكن أن يتمثل فيها ، ويبعث فيها الحياة ماضية قوية ، ولكنه ألقمها أحجاراً جامدة إن لم تقض عليها فلن تبعث فيها شيئاً من معانى الحياة الصحيحة

ولقد بقى لنا من عصر الحملة الفرنسية وثيقة من الوثائق التى تؤيد هذا المعنى تأييداً تاماً ، وهى رسالة كتبها بخطه شيخ الاسلام ورئيس الديوان ، الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وهى حجة قاطعة فى قيمة التعاليم النحوية من ناحية أثرها فى تقويم اللسان واصلاح اللغة على الأسلوب العربى ، فلن يشك أحد فى أن الشيخ الشرقاوى قد تلقى من « النحو » أوفر ما كان يتاتى فى ذلك العهد

وهذه ملاحظة ظاهرة جلية لا نكاد نحسب أحداً يجادلنا فيها أو يخالفنا عليها ، وقد لاحظها من قبل العلامة الدقيق ابن خلدون ، فقال فى مقدمته ، بعد أن قرر أن العلم بقوانين الأعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل : « ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل فى كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيهما عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ، ولا المرفوع من المجرور ، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية »

فليس عجيباً إذن ما يروى لنا من أن رجلاً جاء لابن خالويه — وهو من هو ! — فقال له : أريد أن تعلمنى من النحو والعربية ما أقيم به لسانى . فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لسانى

فالأمر فى اللغة هو أمر سليقة يجب أن تربى ، وملكة يجب أن تكوّن . ولن يكون ذلك بواسطة النحو ، فانه قواعد ميتة ، بل بواسطة البيان والأدب الذى هو مظهر اللغة ومجلى حيويتها . أما النحو الذى أبى على ابن خالويه أن يقوم لسانه ، فلا مطمع لنا فى أن يجدى علينا ما أباه على ذلكم الامام

وكيف كانوا يقومون ألسنتهم عند ما بدأت السلائق تضعف والألسنة تضطرب ؟ كانوا — كما يعرف الناس جميعاً — يذهبون إلى البادية ، ويندمجون فى الحياة العربية ، فيهيئون بذلك لسليقتهم سبيل القوة ، فتصبح من بعد ذلك المتحكمة فى منطقهم ، والمعرفة لألسنتهم ، وليس لدينا مثل هذه الحياة العربية التى كانوا يلجأون اليها ، ويندمجون فيها ؛ ولكن إذا فاتنا ذلك فانا نستطيع أن نعيش بقلوبنا وعقولنا فى حياة عربية اللسان ، فيكون لهذه مالتلك من الأثر الطيب المبارك . أما هذا النحو فقد أعان إفلاسه فيما نطلبه من أجله ، وهو عصمة اللسان من الخطأ فى الكلام ، منذ عهد ابن خالويه إلى أيامنا هذه . ولن تجد امرأ صحيح اللسان قويم المنطق إلا وهو يرجع الفضل فى هذا الى ما أمد به سليقته من الآداب العربية

ويعلل ابن خلدون وجود الملكة العربية فى بعض المهرة فى صناعة الأعراب بدراستهم لكتاب سيبويه ، وطول مخالطتهم له لا من ناحية ما تناوله من تقرير القواعد . بل من ناحيته الأدبية « فانه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط ، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة ، فتجد العاكف عليه ، والمحصل له ، قد حصل على حظ من كلام العرب ، واندرج محفوظه فى أماكنه ، ومفاصل حاجاته ، وتنبه به لشأن الملكة ، فاستوفى تعليمها ، فكان أبلغ فى الافادة

ولسنا نضع بهذا — معاذ الله — من قيمة النحو ، وإنما نريد بهذا أن نضعه فى مكانه الحقيقى ، ونلتمس به غايته الطبيعية ، وهو معرفة قوانين اللغة العربية ، والنفوذ إلى أسرار التركيب فيها . وأكبِرْ به من مكان ، وأعظم بها من غاية !

ترى لو كان أمر اللغة كأمر العلوم الأخرى التى تتاتى قوانينها واحدة بعد الأخرى ، ثم لا يشعر صاحبها أنها غيرت فى كيانه الداخلى ، لو كان الأمر كذلك فى اللغة أكنا نشعر بهذا الاستهجان والمضض الشديد حين نسمع خطيباً يلحن أو يغير فى الوضع العربى ، ونحس بعباراته الملحونة كأنما أصابت موضع الكرامة أو العزة فنتململ ونتضجر كما نحس حين نسمع رجلاً يتناول ديننا أو وطننا أو قوميتنا بما نكره ؟ وما ذا لو أن رجلاً أخطأ فى تقرير قاعدة أو تطبيق قانون علمى ؟ فهذا الفرق القائم

بين اللغة والعلوم الأخرى ينبغي أن يراعى في التربية والتثقيف . فكما لا يجدي تلقين القوانين الدينية والتعاليم الشرعية في تكوين الضمير وتربية العاطفة الدينية . وعصمة الرجل عن الزلل في الحياة ، كذلك لا تغني القواعد النحوية شيئاً في عصمة اللسان وتصحيح الكلام

وبعد فلا بد أن نكرر القول بأنا لا نريد الغض من مكانة النحو وخطورة درسه في اللغة العربية ، بل إنا لنراه — مستيقنين — في المكان الأول منها ، باعتباره المبين لنظامها ، والكاشف عن قوانين التركيب فيها ، وقد خطا النحاة منذ أول العهد بالنحو ، خطوات موفقة في هذه السبيل ، رغم ما غلب عليها في العهود الأخيرة من الشطط والتكلف والبعد عن روح اللغة . وقد خطت الجامعة في العصر الحديث — في دراسة النحو — خطوة جديدة مسددة بعيدة ، نرجو أن تكشف عنها الأيام القريبة المقبلة إن شاء الله تعالى .

محمد طه الحاجري

في النقد الأدبي

للأستاذ إسماعيل مظهر

العصر الذي نعيش فيه عصر قِوامه النقد . حتى لقد قال «إدورد كيرد» وهو من الفلاسفة المعاصرين في أول كتابه عن فلسفة كَنْت : إن النقد هو الذي هدّ العروش المقدسة ، ومنها عرش الدين قائماً من فوق العقيدة ، وعرش القانون قائماً من فوق السلطان والجبروت . فاذا عنى أعلام كتابنا بالنقد ، فانما يعنون بشيء قد تغلغل في صميم الحياة الحديثة ، ونفذ إلى أبعد غور من أغوار الأشياء الانسانية . وما حفزهم إلى الكلام في النقد ، وفي النقد الأدبي على الأخص ، إلا شعورهم — وقد ركدت حركة النقد — بأن في الجو الأدبي فراغاً جعلهم يستوحشون من الحياة التي يحيونها ، وجعلهم يفتقدون شيئاً آنسوا فيه حياة ألفوها . على أني لحظت في نزعة الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع شيئاً أو أشياء ، على كبير علاقتها بالنقد الأدبي ، وعلى عظيم خطرها ، لم يعرض لها أعلام كتابنا ولو باشارة ، ومن طرف خفي ، كأن الكلام في هذه الأشياء عسير على النقد أو هي من الأشياء التي يجب أن تخرج من مجال النقد ، وكانت هذه الظاهرة فيما كتبوا بينة جلية ، حتى لقد خيل إليّ أن ما كتب في النقد جدير بأن ينقد ، وخليق بأن يحلل تحليلاً لا هوادة فيه

ساءلت نفسي : أناحية النقد الأدبي وحدها هي الجديرة بالتقدير والوزن ، أم إن ناحية النقد العلمي والفلسفي لها من المكانة والشرف ما يجعلها خليقة بأن تساوي النقد الأدبي قيمة ووزناً ؟ ولِمَ نخص النقد الأدبي وحده بقسط من العناية يستوفي كل جهودنا العقلية ، ولا ننظر ولو التفاتاً وبقليل من الاكتراث إلى النقد العلمي والفلسفي ؟ ألأنّ الأدباء كثيرون ، والعلماء والفلاسفة قليلون ؟ كلا وإنما السبب أن عقليتنا لم تتكون بعد التكون العلمي ولا التكون الفلسفي . وهذا التكون سابقة ينبغي أن تسبق في الحياة العقلية ظاهرة النقد ، في مجال ما من مجالات الحياة الثقافية . ذلك بأن وجود العلماء لا يكفي في تكوين العقلية العلمية ، ولا وجود الفلاسفة بكاف لتكوين العقلية الفلسفية

ثم ساءلت نفسي : أللنقد موانع ؟ أيمنعنا من النقد عوامل خلقية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل تقليدية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل اقتصادية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل سياسية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل نفسية ؟ وهل يمكن أن يفلت النقد من أثر هذه العوامل ؟ وبعد أن أطلت النظر في كل سؤال من هذه الأسئلة ، بل إن شئت فقل في كل معضلة من هذه المعضلات ، حكمت بأن هذه الموانع كائنة ، وأن بعضها أقوى أثراً من بعض ، وأن الناقد لن يفلت من دائرتها ، أو يخرج من أقطار هذه الأرض منبوذاً مدحوراً

وبعد هذا وذاك هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله ، وتشيد من فوقها أركانه ؟ ألنا في النقد مذاهب مقررة ينتحيها الناقدون ؟ وهل لنا في النقد قواعد تحدد للنقد حدوده ، وترسم تخومه ، وتعين اصطلاحاته ، شأن كل الأشياء العلمية والأدبية التي لها أثر في تطور العقليات والمعقولات ؟

كلا . ليس لنا في النقد مذاهب ، وإنما اتبعنا إلى الآن في النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور ، وهي طريقة إن مال ميزانها نحو اليمين قيد شعرة كانت إفراطاً في المدح والتقريظ ، وإن مالت نحو الشمال شعرة كانت تفريطاً في كل ما يقتضي النقد من حكمة في تقويم الآثار الأدبية بميزان صادق الدلالة على قيمة ما في كفتيه . وجملة الأمر أننا ذهبنا في النقد المذهب التقديري ، ولم ننزع إلى المذهب التقريري . ذلك بأن المذهب التقديري مذهب سهل المأخذ ، لين المنحى ، مطواع للأهواء ، يسع الأثر الذي تمليه

الصداقة على شعور الناقد ، ويسع الأثر الذى تمليه العداوة والبغضاء على انفعالاته . وهو فوق كل هـذا مذهب بُدائى لا ضوابط له ولا قواعد ، ولا نظريات ولا حقائق ؛ وبالأحرى نقول إننا مضينا ننقد حتى الآن ورائدنا فى النقد الأثر الذى تتركه فى أنفسنا مختلف المنتوجات الأدبية ، بما فيها من علاقات ذاتية وميول وعواطف وأخيلة وأحاسيس ؛ وعلى الضد من هذا كله مذهب النقد التقريرى القائم على نظريات أو حقائق لهـا حدود مضبوطة ومصطلحات معينة ونماذج يمكن أن ينسج على منوالها ؛ ناهيك بأن مذهب النقد التقريرى قد تكون له فى بعض الأحيان فكرة عامة شاملة ترمى الى غاية معينة . فانك إن نظرت مثلاً فى محاورات سقراط التى أثبتها تلاميذه فى كتبهم ، تبينت من خلالها فكرة جامعة وغاية أخيرة ترمى اليها ، هى التى أبان عنها كل الابانة فى دفاعه عن نفسه أمام قضاته قبل الفتوى بادانته . وعندى أن محاورات سقراط ، أول ما وضع فى تاريخ الآداب الانسانية من نقد قائم على المذهب التقريرى

ولقد ترى أثر هـــذا الرأى — رأى أننا ننقد على المذهب التقديرى لا على المذهب التقريرى — ظاهراً جلياً فى كل نواحى النقد ، لا فى النقد الأدبى وحده . فان نزعتنا هذه قد تجلت بينة فى النقد السياسى على الأخص ، حتى لقد اتهم النقاد السياسيون فى مراميهم وأوذوا فى سمعتهم السياسية ، لا لشىء إلا لأنهم نقدوا على غير مذهب ، وكتبوا على غير نظرية سياسية ، ومضوا يتكلمون فى السياسة وليس أمامهم غاية عامة نهائية يرمون إليها ، اللهم إلا أن تستقر الأحوال على صورة تقر ما كان قائماً قبل انقلاب حدث ولو كان ما يطلب الرجوع إليه من نظام فيه من أوجه النقد ما لا يقل قيمة أو أثراً عما يراد إدالته من نظام قائم

. على أن ما ترى فى النقد السياسى من شيوعية فى المرامى واستهتارية فى الغايات ، قد تراه بذاته فى أكثر النقود الأدبية التى تجرى بها أقلام الذين يتصدون للنقد فى هـذا العصر . وما السبب فى هـذا إلا أننا نزعنا فى النقد النزعة التقديرية ، فأوسعنا المجال للخيال دون العقل ، وفتحنا الباب على مصراعيه للذوق وحده ، من غير أن نجعل للذوق ضابطاً من القيود المنطقية أو النظريات المقررة أو الحقائق الجامدة

لقد عاب الأستاذ أحمد أمين على النقاد أن ينتقدوا ما ليس من اختصاصهم ، وأن الكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً فى تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر ! ولا مرية فى أن الأستاذ على حق فيما يقول . أما السبب فى هـذه الفوضى الغامرة فالذى أذهب إليـه من أن النقد عندنا قد نزع النزعة التقديرية دون النزعة التقريرية . وهل أسهل من أن أقول إن كتاباً عن نابليون ضعيف الأسلوب ، وإن كتاباً عن جزيرة العرب ثقيل الظل ، وإن ديوان شعر بارد الأنفاس ؟ ولكن غاب عن الأستاذ حقيقة أخرى هى أن الأدب والنقد عندنا ، لقلة ما لهما من ضوابط وقواعد ، قد هيأ للكتاب والنقاد سبيل الانسلاخ فى هيئات جديدة تقتضيها ظروف الأحوال . فهذا كاتب سياسى أصبح مؤرخاً . وذاك مؤرخ أصبح شاعراً . وثالث كان أديباً فأصبح سياسيا ، ثم ارتد ناقداً ، ثم انسلخ فى صورة ديماجوج ، يضرب على نغمات تحبها آذان الجماهير . ورابع كان صحفياً فأصبح مصلحاً سياسياً . وخامس كان لا شىء أصلاً فأصبح علماً يشار إليه بالبنان فى جميع ما تتخيل أن إنساناً يستطيع أن يبرز فيه من علم وفلسفة وأدب وفن ، وما الله به أعلم من مظاهر الكفاية . وإن واحداً صار نصير الانسانية ، وآخر أصبح سادن الدين ، وثالثاً أبا الحرية ، ورابعاً حافظ الديمقراطية ، إلى غير ذلك من الألقاب التى تذكر المرء بألقاب أهل الدول إذا ارتج أمرها وكادت تميد بهـا الأرض ، فيعمد خيال أهلها إلى الألقاب يضخمون منها بمـا يخيل إليهم أن فيـه المنجى والملاذ

أليست هذه ظاهرة من ظاهرات الفوضى العقلية الدالة على أن النقد عندنا إنما يقوم على نزعة تقديرية لا تزن الأثر ولا تزن الشخص ، وإنما تزن الأثر والشخص على مقتضى الظرف الحاصل ؟ ولو أننا نزعنا فى النقد النزعة التقريرية مؤمنين بعدد ثابت من الحقائق والنظريات والمثاليات ، مؤتمين بمـا توحى به من آداب اجتماعية عليا ، إذن لاستطعنا أن نقضى على هذه الفوضى الغامرة التى تكاد تبتلعنا لججها

وما كان لى أن أتكلم فى موانع النقد فى بيئتنا الجديدة ، اللهم إلا أن أكون قد قذفت بنفسى فى أتون تترع نيرانه الشوى . فليتصد للكلام فى هذا غيرى ممن لا حاجة به إلى شواء

اسماعيل مظهر

بمناسبة المهرجان الألفى لأبى الطيب فى دمشق

دين المتـــنبي

للأستاذ سعيد الأفغانى

عاش فى هذه الدنيا قبل ألف عام رجل قضى إحدى وخمسين سنة يعمل فى حياته للمجد؛ ركب إليه المكاره واقتحم الغمرات؛ أراده مرة من طريق الدين فخاب ، ثم راوغه من طريق الولاية فأخفق ، ثم مضى قدماً يجالد دون سبيله هذه جيوشاً من أذى الأعداء ونكاية الحساد وكلَب الزمان وتخلف الجد

تقاذفته الأقطار ضارباً فى الأرض : من حلب ، إلى دمشق، إلى فلسطين ، الى مصر ، إلى العراق ، إلى فارس ؛ حتى إذا ملأ الدنيا وشغل الناس وقفل راجعاً من شيراز وشارف بغداد وحط فى سوادها الغربى ، أحاط به أعداؤه فى دير العاقول ليغتالوه ، فقاتلهم قتال المستبسل المستميت حتى سقط دفاعاً عن نفسه وشرفه ، فصعدت روحه إلى بارئها يحاسبها على ما قدمت فى عاجلتها من خير أو شر

وإذا كان موضوعنا البحث فى دين الرجل فلا بد أن تنبه قبل الشروع فيه إلى أنا سنخرج على ذلك السخف التقليدى الذى توارثناه فى عصورنا الأخيرة جيلاً عن جيل ، فى تكفير الناس من أجل كلمة قالوها أو عمل قاموا به ؛ نتعلق لذلك بأوهى الأسباب ونتكلف له كل التكلف لنخرج مسلماً عن دينه وإن كرهناه ، أو نؤول له ما زل به لسانه إن أحببناه . تعقد لذلك المجالس فى المساجد والمدارس وعند السلطان ، وتؤلف الرسائل وتثار الفتن وتراق الدماء ، حتى لقد سوّل الشيطان لبعض الحكام أن يتخذ من عبَدة الهوى هؤلاء مطايا يركبها إلى غاياته فيمن يكره من كل آمر بمعروف أو جبّاه بحق أو ثائر على ظلم ، فما أسرع ما كانت تخرج الفتيا بالتكفير ، وما أسرع الحاكم حينئذ إلى البطش والفتك

ولولا الخروج عن الموضوع لأفضت فى شرح هذه الناحية من تاريخنا وما أدت إليـه من سوء العقبى ، وما جرت على العلم والدين من ويلات وخراب ، وخاصة أخريات عصور الجهـل ، يوم كان يضطلع بهذه المهازل شيخ الاسلام فى السلطنة العثمانية .

وحسب المرء أن يذكر على سبيل التمثيل آراء المحبين والمبغضين فى أجلاء الصحابة — رضى الله عنهم — صدر تاريخنا ، ثم أقوال هؤلاء وهؤلاء فى الحلاّج ومحيى الدين بن عربى وتلك الطبقة . بل مالى أعمد إلى التاريخ البعيد وفى فجر نهضتنا مثل صالحة من ذلك . فاذكروا إن شئتم الأئمة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ومن لف لفهم . ألم يرفعهم قوم إلى درجات المصلحين المجتهدين ، ويهبط بهم آخرون إلى دركات الكفار أعداء الدين ؟!

وغريب منهم هذا الفضول والتطفل والله تعالى لم يجعل إلينا أمر الناس ، حتى نزج أنفسنا فى هذه المزالق . ومتى ملك بشرٌ أمر بشر والله يقول : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء . » أما كان فى خوَيصة أنفسهم ما يشغلهم عن الناس والتحكم فى آخرتهم ؟ وما كان أقربهم من إنصاف لو عرضوا القول أو الفعل على الحق فسموا الأشياء بأسمائها وحكموا عليها بالخطأ أو الصواب ولم يحمّلوا النصوص ما لا تحمل ووكلوا أمر الناس إلى الله ، إذن لوفروا على أنفسهم عنتاً طويلاً ووقتاً سيسألهم الله عن إنفاقه فى هـذه السفاسف والآثام ، وجهوداً لم يرزقهم الله إياها ليفرقوا دينه شيعاً ويؤلبوا عباده بعضهم على بعض

وأنا إذ أعرض لدين المتنبي فانما أحكم على أقوال قالها وعلى هنات صدرت عنه ، فأعرضها على الحق ، وسواء على الباحث ، اذا اجتهد وأخلص ، أكان المتنبي بعد ذلك مسلماً أم ملحداً ، فما لنا إيمانه ولا علينا كفره ، ولا يملك إنسان لانسان عذاباً ولا ثواباً

* * *

أمهد لبحثى بكلمة عن الحالة الدينية فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، وهو الأمد الذى عاش فيه شاعرنا ؛ وأنا حين أفيض فيه إنما أتكلم عن المتنبي نفسـه لشدة العلاقة بين الرجل وعصره ، ولأن كل شيء من أحوال ذلك العصر كان يهيء للدعوات السياسية والدينية . وسنرى أن تنبؤ أبى الطيب ليس بالأمر الأد فى ذلك الزمن الذى يعجّ بالاحزاب والنحل وأهل الأهواء

كان الدين أروج التجارات حينئذ فى جميع الأقطار الاسلامية ؛ فمن بنى ملكا تذرع له بالدين ، ومن أراد ثورة جعل شعارها الدين ، ومن دعا إلى نحلة فانما سلاحه هذا الوتر الحساس من النفوس ؛ ودولة بنى العباس إذ ذاك منكمشة فى رقعة صغيرة فى

العراق ، تعيش مع ذلك خاضعة لسلطان الأمراء المتغلبين من الفرس أو الديلم أو الترك ، والانتساب إلى آل بيت الرسول — صلى الله عليه وسلم — أمضى سلاح يصرفه الخوارج وأرباب الأطماع

كان فى حلب بنو حمدان وهم علوية ، وانقرض الأغالبة فى المغرب فدعى للفاطميين فى رقادة من أرض القيروان سنة ٢٩٦ وهم ينتسبون إلى فاطمة ، وكل خارج على الدولة إنما كان يدعو الناس الى الرضى من آل محمد ، وكان فى تعاليم الشيعة ما يحفز الطامحين الى شق العصا : كلٌ يدعى أنه الامام المنتظر

وأعظم النحل تسلطاً ونفوذاً يومئذ ثلاث : الباطنية والشيعة والحنابلة ، وهؤلاء الأخيرون انحصر سلطانهم فى بغداد فترة من الزمن فقط ، بينما انبث دعاة الشيعة والباطنية فى كثير من الأقطار . وكان أهول الجميع خطراً وأبعدهم أثراً القرامطة ، وهم طائفة مؤولة باطنية حلولية ، جعلوا للشرع ظاهراً وباطناً ، وبنوا مذهبهم على تأويل الأحكام والآيات . ظهروا سنة ٢٧٨ ﻫ وانتشروا بالشام وسواد الكوفة ، ثم اشتد أمرهم حتى زحفوا على حمص ، وخضعت لهم دمشق على جزية ، ثم زحفوا إلى الكوفة وعظم خطرهم وتفاقم شرهم ، وعجز جند الخلافة عن إخضاعهم « وما زال أمرهم إلى قوة حتى استولوا على أكثر بلاد الفرات ، وأسسوا دولة بالبحرين ، ودحروا جيوش الخليفة المقتدر ، وثارت منهم طائفة فى نواحى الحجاز ، فانقطع الحج سنين خوفاً منهم . ولما أرسل اليهم المقتدر جيشاً بقيادة منصور الديلمى دحروه وقتلوا الحجاج يوم التروية فى المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرحوا القتلى فى بئر زمزم ، واقتلع زعيمهم الحجر الأسود من مكانه فى الكعبة ، وأخذه معه إلى هجر حيث بقى اثنين وعشرين عاماً حتى رد إلى مكانه أيام المطيع العباسى سنة ٣٩٣ »

ذكر المعرى فى رسالة الغفران : « أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام ، ويقولون للهمج والطغام : (هذه الفرس لركاب المهدى يركبه متى ظهر .) وإنما غرضهم بذلك خدع وتعليل ، وتوصل إلى المملكة وتضليل . ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة فى الدهر القديم لما حضرته المنية ، جمع أصحابه وجعل يقول لهم لما أحس بالموت : (إنى قد عزمت على النقلة وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً ، ولا بد لى أن أبعث غير هؤلاء) فعليه اللعنة ، لقد كفر أعظم الكفر فى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويؤوب إلى آخرته المسافر » اﻫ

نجد أن القرامطة أخذوا بالحلول والتناسخ المتسربين إلى المسلمين من الهند وفارس ، وشاركوا بعض فرق الشيعة فى فكرة الامام المنتظر ، وأصبح من ديدن كل داعية إلى بدعة أو خروج على سلطان ، أن ينتسب إلى على رضى الله عنه ، أو أن يدعو إلى الرضى من آل محمد إن تعذرت عليه النسبة مباشرة . وكثر هؤلاء الدعاة والخارجون ، وفشت فاشيتهم حتى امتلأت حوادث تلك الأيام بذكرهم . وكان سقوط هيبة الخلافة وانحلال العصبية العربية من أهم العوامل فى كثرة تلك الطوائف والانقسامات . وأصبحت الدنيا فى كل مكان لمن غلب ، وجهر المتغلبون وجنودهم بضروب من المناكر أنفدت صبر البقية الصالحة ، فثار فى بغداد جماعة من الحنابلة ، واضطرمت قلوبهم بالغيرة على الدين من أن تنتهك محارمه ، فأجمعوا أمرهم وانتظموا مسكرات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالقوة والسلاح ؛ واستفحل شأنهم وقويت شوكتهم ، حتى صاروا يكبسون بيوت القواد والعامة فحيثما « وجدوا مسكراً أراقوه ، أو مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء . » ولم يطل بهم الزمان حتى أذعنوا لمؤثرات العصر ، فتسرب إلى جماعات منهم أقوال هى إلى الحلول والتشبيه ، واندس فى غمارهم — على ما يظهر — أناس ليسوا منهم ، فعظمت أذيتهم على الناس ، فتقدم اليهم الخليفة بالانذار فما أفاد ، فاضطر إلى قمعهم بالقوة واراحة الناس منهم

هذا إلى أناس كثيرين جعلوا الدين وسيلة إلى الدنيا يتاجرون به متاجرة ، فيوماً تراهم معتزلة ويوماً شيعة ؛ وحيناً باطنية وتارة حلولية يقولون بالتناسخ ، يميلون مع الريح حيث مالت ، ويعرضون فى كل سوق ما يروج فيها ، لا يرجعون إلى عقيدة ، ولا يصدرون عن إيمان ، بل هم أبداً متقلبون «يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم »

* * *

تلك هى حال الدين فى عصر أبى الطيب وفى البلاد التى حل فيها . فما ظنكم بفتى دون العشرين من عمره ، يتوقد ذكاء ، ويتفجر فصاحة ، طماح مغامر ، يعشق السيادة ، وينشد المجد بكل قوته ، التفت حوله فما رأى إلا جماهير بلا عقل ، تتبع كل ناعق ، عليهم رؤساء جهال ، لا علم لهم ولا فضل ولا أدب ، ما فيهم على

كثرتهم من يقاربه فى ذكائه ومواهبه وعظم نفسه ، ثم أبصر سوق الدعوات رائجة كل الرواج ، وكان فى طبيعة كثير منهم ما يدعو الطامح إلى محاولة السيادة عن طريق الدين

شاء هذا الفتى أن يقيم نسبة بين دعوتهم ودعوته تتسق هى والفرق بينهم وبينه ، فاذا كان فيهم من ادعى أنه الامام المنتظر ، أو المهدى ، أو الرضى ، فان النسبة تقضى أن يدعى النبوة دفعة واحدة ، وقد فعل

ولا مندوحة لى هنا عن القول بأن تنبؤه فى الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه[1] ، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة ، حتى التى كانت تميل إليه كل الميل ، فانها لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير . وما كان أغناها عن ذلك ، فان فى السن التى وقعت فيها هذه الزلة العذر كل العذر ؛ وليس من الانصاف أن نلمز حياة خمسين سنة من أجل هناة كانت فى سن الفتوة . فلأشرع فى ذكر هـذا التنبؤ بايجاز ، ثم لافض فى علاقة الرجل بالدين مدى حياته . وسأعتمد فى قص الحادث على أبى العلاء خاصة ، لفضله ولتحريه وقرب زمانه . وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة وردت فى (الصبح المنبى) لايقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن

وقع المتنبى إلى بادية السماوة وأظهر دعوته ، فتبعه قوم من الأعراب من بنى كلب ، خلبهم بذلاقة لسانه ، وحسن بيانه . وتلا عليهم كلاماً زعم أنه أنزل عليه . نقله الأنبارى فى طبقاته عن أبى على بن حامد قال :

« وكان قد تلا على البوادى كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه . فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سـورة ثم ضاعت وبقى أولها فى حفظى وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الـكافر لفى أخطار . امض على سننك واقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحـد فى دينه وضل عن سبيله » .

وقد حفظ لنا التاريخ مشهداً من مشاهد هذه الدعوة فى اللاذقية ، ولا ريب أنه كان بعد أن توثق أمر المتنبى بعض التوثق فى البادية . قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى :

« قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنه ٣٢٠هـ وكان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة إلى شحمتى أذنيه ، فأكرمته وعظمته لـما رأيت من فصاحته وحسن سمته ؛ فلما تمكن الأنس بينى وبينـه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت له : « والله إنك لشاب خطير، تصلح لمنادمة ملك كبير . » فقال :

« ويحك ! أتدرى ما تقول؟ أنا نبى مرسل . » فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : « ما تقول ؟ » فقال : « أنا نبى مرسل . »

فقلت له : « مرسل الى من ؟ »

قال : « الى هذه الأمة الضالة »

قلت : « تفعل ما ذا ؟ »

قال : « أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً »

قلت : « بماذا ؟ »

قال : « بادرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق لمن عصى وأبى »

فقلت له : « إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر » وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

أبا عـبد الاله معاذ إنى ... خفى عنك فى الهيجا مقامى
ذكرت جسيم مطلبى وأنا ... نخاطر فيـه بالمهج الجسام
أمثلى تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان إلى شخصاً ... لخضب شعر مفرقه حسامى

(١) قرأت أخيراً عدد المقتطف الذى كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبى خاصة ، فاذا به يذهب إلى نفى تنبؤ أبى الطيب الذى اتفقت عليه كل المصادر تقريباً . وقد أنعمت فى تدبر الأسباب الحادية على النفى فلم أجد فيها مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة

والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ، ولا بد فيه حال النفى من التعرض لجميع الأخبار المثبتة بالتوهين ، خبراً خبراً . وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر

وأمر ادعاء المتنبى العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا ، على رغم ذلك الخيال الجميل الذى لبس ادعاءه إياها فى الـكتاب المذكور

وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، ففيم كان خجل أبى الطيب وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه (المتنبى) ؟ ولم كان يعمد إلى اشتقاقه من النبوة تارة ، ويعتذر بأنه شىء كان فى الحداثة تارة ، ويقول إنه يكره التلقب به ، وأنه يناديه به من يريد الغض منه ؟ وعلى أى شىء تقع كلمة كافور « من ادعى النبوة بعد محمد أما يدعى الملك مع كافور » ؟ وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ولا ممن يروج الاختلاق

وقد روى المعرى — وهو الحجة الثبت — أمر التنبؤ وما حف به من حادث ومعجزات ، فى رسالة الغفران . وأبو العلاء كان أحرى أن يشك أو يكذب الخبر لو أن فى الأمر مجالا للشك وأحتمالا للتكذيب لأنه أشد حباً للمتنبى وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للاخبار ، مع قرب زمن وصفاء ذهن وقوة حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك

وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سارت وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام

بهذه القوة والاطمئنان يتحمس المتنبي لنصرة دعوته ويحاول تمكينها من القلوب ، فلنصغ إلى أبي العلاء المعرى فى رسالة الغفران يحدث عن معجزات نسبت الى أبي الطيب ، قال :

« وحدثت أن أبا الطيب لما حصل فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : (ههنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك نبى مرسل . وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة فى الابل ، فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشى المسمحة ، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدث أيضاً أنه كان فى ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها فى يومك ، وعد له أياماً وليالى ، وأن ذلك الكاتب قبل منه ، فبرئ الجرح ، فصاروا يعتقدون فى أبي الطيب أعظم اعتقاد ويقولون هو يحيى الأموات

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده فى اللاذقية أو فى غيرها من السواحل ، أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما فى النباح ، ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد ذلك الكلب قدمات ، فلما عاد الرجل لقى الأمر على ماذكر

ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه ما فعل . » اه

هذا ما ذكر المعرى من معجزاته وقد ذكر غيره معجزات أخر نضرب عنها صفحاً ، لبعدها عن العقل ولأن راويها ليس فى التثبت بمكان أبى العلاء

وفى ديوان أبى الطيب قصيدتان قالهما فى صباه ، تفيضان أملاً وطموحاً وكفاحاً ، وأنا أجعل زمانهما فترة التنبؤ هذه ، حين كانت نفسه تجيش بأبعد المطامع وتوقن بالفوز والنجاح . لما وجد تلكؤ الناس عن اجابة دعوته فى نخلة — إحدى قرى بنى كلب — ومظاهرته بالعداء ، عزم على المضى بأمره وتحمل الأذى ، ورسم لنفسه هذه الخطة الواضحة فى قصيدته :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الحصان ولكـن قميصى مسرودة من حديد
أين فضلى إذا قنعت من الدهـر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال فى طلب الرز ق قيامى وقل عنه قعودى
أبداً أقطع البلاد ونجمى فى نحوس وهمتى فى سعود
عش عزيزاً أومت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العز فى لظى ودع الذ ل ولو كان فى جنان الخلود
إن أكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها اللـه غريب كصالح فى ثمود

ولما رزقت دعوته بوارق من الاقبال فى بنى كلب سكر بنشوتها وطفقت نفسه تحدثه بقرب تحقيق الأمنية ، ثم استمر خياله يبنى له هذا المجد حتى أنس من نفسه قوة وتحفزا ، فراح يتحدث بانفاذ ما رسم من خطة ، ولو وقفت دونه ملوك الأرض ، إلى أن تتم دعوته ويسود الناس . إن شئت فانظر فى هذه الأبيات أهى لهجة شاعر يفتخر ، أم إيمان طماح واثق من نفسه كل الثقة ؟

سيصحب النصل منى مثل مضربه وينجلى خبرى عن صمة الصمم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

وما قولك فيمن سيغنى الأرض بالدماء عن الأمطار :

تنسى البلاد بروق الجو بارقتى وتكتفى بالدم الجارى عن الديم

ويخاطب نفسه هذا الخطاب النارى ، مشجعاً إياها ، مهوناً عليها أمر الناس فيقول :

ردى حياض الردى يا نفس واتركى
حياض خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ثم انظر هذا الانذار الشامل والوعيد الرهيب لأهل الأرض وملوك العجم والعرب :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً
ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان أجابوا فما قصدى بها لهم وإن تولوا فما أرضى لها بهم

هذه نفثة نفس جائشة تسلحت باليقين ورأت الخيال يلوح لها بقوة الحقيقة الواقعة ، مؤمن بالفوز ، واثقة من كفاءتها واضطلاعها بالأمور الجسام . وما أظن أبا الطيب حين قال هذه

القصيدة كاذباً فى نفسه ، لا بل كان يحدث عنها أصدق الحديث ، وإنما كان مخدوعاً ثائراً يريه شبابه الفائر ومواهبه المتقدة السراب ماء فذهب يصف ما تريه نفسه . وإلا فكيف تكون القصيدة أقوى ظهوراً منها فيما تلوت من شعره

تبعت أبا الطيب شراذم من عامة وأعراب ، ثم نمى خبره إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية . وأنه يخشى أن يستفحل أمره . فخرج إليه لؤلؤ ، فقاتله وأسره وشرد من كان معه من بنى كلب وغيرهم من قبائل العرب . وحبسه فى السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف ، فكانت حاله إلى الضراعة والاستكانة . وكانت هذه الضربة كافية فى إعادة رشده إليه وفى يقظته من حلمه اللذيذ الذى نعم به زمناً يسيراً فاستفاقت تلك النفس التى كانت تهذى فى حلمها وتقول :

إذا امتلأت عيون الخيل منى … فويل فى التيقظ والمنام

وتقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً … ومن عصى من ملوك العرب والعجم

وهبطت من عليائها إلى أسفل الدركات فقالت :

أمالك رقى ومن شأنه … هبات اللجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجا … ء والموت منى كحبل الوريد

ثم سئل لؤلؤ فى أمره فاستتابه وكتب وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأطلقه . وبهذا انطوت صحيفة من تاريخ أبى الطيب فى صباه ، على نزوة خلدها التاريخ على قلة ما يسجل للصبيان من نزوات

* * *

لم يفد أبو الطيب من مغامرته هذه إلا لقب (المتنبى) الذى لصق به على كره منه ، فكان يستحى بعد توبته كل الاستحياء . ذكر عنه المعرى أنه سئل عن حقيقة هذا اللقب فقال : « هو من النَّبْوة أى المرتفع من الأرض » ولما كان فى بغداد قال له أحد الأكابر : «خبرنى من أثق به أنك قلت إنك نبى ؟ » فقال أبو الطيب : « الذى قلته : أنا أحمد النبى »

قال أبو على بن حامد : « كان المتنبى فى مجلس سيف الدولة : إذا ذكر له قرآنه أنكره وجحده . وقال له ابن خالويه يوماً فى مجلس سيف الدولة : « لولا أن أخى جاهل لما رضى أن يدعى بالمتنبى لأن معنى المتنبى كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال أبو الطيب : لست أرضى أن أدعى بذلك وإنما يدعونى به من يريد الغض منى ، ولست أقدر على المنع »

ونقل صاحب طبقات الأدباء ص ٣٧١ عن التنوخى قال : قال لى أبى : « أما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبى لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أو لا ؟ فجاوبنى جواب مغالط وقال : « إن هذا شىء كان فى الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه فأمسكت »

وزعم جماعة أن اللقب لصق به لتشبهه بالمسيح مرة ، وبصالح مرة فى أبياته التى مرت

وكيفما كان فان الذين عاشوا فى زمن المتنبى وبعده مجمعون على ادعائه النبوة ، وكان هو يجهد أن ينفى التهمة فى حياته خجلاً وحياء . وليس بين الأمرين تناقض ولاداع إلى حيرة . وقد كان هذا اللقب على أبى الطيب من أشد ما كابد فى حياته : فقد منعه كافور الولاية بسببه ، ولما عوتب قال : « ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدعى الملك مع كافور ؟ فحسبكم » وكلما أراد عدو أو شاعر ايلام المتنبى هجاه ونبزه بهذا اللقب

(للبحث بقية) سعيد الأفغانى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ الفلسفة اليونانية

للأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

وهو إحدى حلقات السلسلة الفلسفية التى توالى اللجنة إصدارها ، وقد عرض المؤلف فى مقدمته للفكر اليونانى قبل الفلسفة ولهوميروس والألياذة والأوديسة ولرأيهم فى الطبيعة والآلهة وللحكماء والشعراء الخ

ثم تكلم فى أبوابه المرتبة على الطبيعيين الأولين وعرض للنظريات المختلفة فى أصول الأشياء والنفس والتناسخ وشرح وحدة الوجود والعناصر الأربعة والجوهر الفرد والطبيعة وما بعدها ؛ فلم يدع شيئاً يهم الباحث والمتعلم . كما أن بالكتاب تراجم مفصلة للفلاسفة ، وقاموساً نافعاً للأعلام والألفاظ الفلسفية ، وهو مطبوع باللجنة طبعاً متقناً على ورق جيد ويقع فى ٣٥٣ صفحة وثمنه ٢٠ قرشاً ، ويطلب من اللجنة بمقرها ٩ شارع الكرداسى بعابدين بمصر ، ومن المكاتب الشهيرة

٣ ـ دانتي أليجييري

والكوميديا الالهية

وأبو العلاء المعري ورسالة الغفران

المطهر Purgatorio [1]

(١) تنفس دانتي صعداء حين انتهى من دركات الجحيم ، وحين هب عليه أول أنفاس الفجر المنعش الندي ! ونظر فرأى نجوماً أربعة تتألق في بنفسج السماء ، ولجة صاخبة ترغي وتزبد حول جزيرة نائية ، ينهض فوقها جبل شامخ رفيع الذرى ، كأنما يحمل القبة الأثيرية بروقيه ؛ وسأل عنه فرجيل فأنبأه أنه جبل المطهر ، وأنهما لابد موقلان فوقه ، ليصلوا منه إلى الفردوس ويلتفتان فيريان شبحاً ميمماً شطرهما ، وإذا هو شبح كاتو من يوتيكا ، أقبل ينذرهما بما ينبغي لهما أن يتزودا به من الايمان والصبر في سفرتهما الشاقة في أحياد الجبل ، وفوق صياصيه .

ويتقدمان من الشاطئ فينضح فرجيل الماء على وجه دانتي ، ويلف حول خصره قصبة مما ينبت فوق الشاطئ (٢) وما يكادان يفرغان حتى يريا زورقاً يثب في البعد فوق نواصي الموج ، وفيه ملك كريم يجريه بين العدوتين ؛ وبين يدي الملك أرواح الموتى ، أقبلت من الدار الفانية إلى دار البقاء ؛ ويتبين دانتي بينها روح صديقه كاسيلا المغني الفلورنسي المشهور ، الذي طفق يملأ الفجر بأغنياته الحلوة يحيي بها دانتي ، لولا أن استحثهما كاتو فانطلقا يهرولان شطر الجبل (٣) وينظر دانتي فلا يرى إلا خياله ، حين تشرق الشمس ، منبطحاً على السفح وراءه ، فينزعج ويحسب أن فرجيل قد غادره ورحل ، ولكن فرجيل يطمئنه ، ويخبره أن أرواح الموتى إن هي إلا أضواء شفافة لا تكون لها ظلال كما لأهل الدار الفانية . ويلفان منحدراً صعباً لا يستطيعان تسلقه ، ولكن بعض أرواح الموتى تدلهما على شعب ضيق فينفذان منه ويلقيان فيه الملك منفريدي ملك نابلي الذي يعرف دانتي ، ويرجوه ، إذا رجع إلى الدار الأولى ، أن يلقى ابنته كونستانزا ملكة أراجون ويحدثها عن حكاية مقتل والدها التاعس الذي لا يدري أحد كيف قتل (٤) ويصعدان في الجبل ، في طريق كلها نؤى وركام وأحجار ، ثم يجلسان عند منعرج يستريحان مما عراهما من نصب ... حيث تهتف بهما بعض أرواح الموتى ، ويعرف بينها دانتي روح صديقه بيلا كوا ، الذي يحدثه أنه استحق أن يكون خارج الفردوس دهراً لأنه لم يعجل بالتوبة قبل موته إلا حين أدركه المنون . (٥) وينطلقان ، فيلقيان أفواجاً ممن لم يعجلوا بتوبتهم فأمهلوا عن دخول الفردوس كما أمهل بيلا كوا . (٦) ويلقيان أفواجاً أخرى فتتكبكب حول دانتي ، تتألم وتبكي ، وترجوه إذا عاد إلى الدار الأولى ، أن يبلغ أهليهم تحياتهم ، وأن يرجوهم أن يستكثروا لهم من الصلاة والدعاء ، عسى أن يخفف عنهم ، وأن يعجل بهم إلى الجنة !! ويتعجب دانتي ، ويسائل فرجيل « وماذا تفيد هؤلاء صلوات أهليهم ؟ وهل للانسان إلا ما سعى ؟ » ، ولكن فرجيل يذكر بياتريس ويذكر أن صلاة دانتي قد نفعتها ، وقد عجلت بها إلى الفردوس . ثم يلقيان سوردللو ، فيشكو إليه دانتي تدابر الايطاليين وتقاطعهم وقلة اهتمامهم بجمع كلمة إيطاليا وانهاض الامبراطورية الرومانية . (٧) ويرخى الليل سدوله فيتقدم سوردللو ليهديهما سواء السبيل فيدلهما إلى منعرج مزهر يريان فيه أرواح بعض الملوك والأمراء كالامبراطور رودولف ، وأوتوكار ملك بوهيميا ، وهنري الثالث ملك انجلترا ... الخ ... ويتحدث دانتي إلى بعضهم (٨) ويتنزل ملكان عظيمان من السماء ، في يد كل منهما سيف من نور فيحرسان الوادي ، ولكن سوردللو يستأذنهما فيأذنان له ، فيقود الشاعرين إلى شعب جميل يلقى فيه روح نينو قاضي جاليورا فيكلمه دانتي في بعض ما كان من مشكلات الدنيا ، ثم يلقى أحد إخوانه من الموتى فيتنبأ له عما سيلقاه من نفي وتشريد ونزح عن الديار حين يعود إلى الدنيا (٩) وينام دانتي ، ثم يصحو بعد الشروق بساعتين فيجده قد حمله من يدعى لوسيا إلى باب المطهر حيث يأذن لهم حارسه ، وهو من الملائكة ، باجتيازه .

(١٠) ولا ندري كيف ينتكس دانتي فيعطينا في المطهر صورة من أبشع صور الجحيم في هذا الفصل العاشر ... فبعد أن يجتازوا (سوردللو وفرجيل ودانتي) طريقاً حلزونياً حول صخرة كبيرة

(١) الأرقام التي تتخلل الكلام هي أرقام الفصول التي يتركب منها المطهر

يشرفون على واد سحيق مكتظ بأهل الكبرياء والخيلاء من موتى الدار الفانية وقد وقفوا فيه وفوق كواهلهم حجارة ضخمة من الرخام ينوؤون تحتها ويتضاغون ويبكون ! (١١) ويمرون بأقوام من أهل الدنيا الفانية قضى عليهم كبرهم أن يؤخروا فى منزلق صعب عن الجنة جزاء صلفهم فى دار الغرور (١٢) ثم يتقدم إليهم ملك فينقلهم من دارة المطهر الأولى إلى دارته الثانية . (١٣) حيث أهل الحسد والحقد والغيرة ... وقد خيطت أعينهم بسلوك من حديد ، ويجد دانتى من بينهم السيدة سابيا السينية التى تتحدث اليه فتخبره عن سبب تخلفها هنا . (١٤) ثم يلقى واحداً من سكان وادى الأرنو (النهر الذى تقع عليه فلورنسا) فيحدثه عن سبب انحطاط الفلورنسيين وسائر سكان هذا الوادى ، ثم انحطاط الناس فى رومانا .... ويمضى الشاعران بين ضجيج الأرواح الهائمة ، تلغط جميعاً بهراء من الحسد والأحقاد القديمة (١٥) ويحدوهما ملك كريم إلى الدار الثالثة من المطهر حيث تطهر الأرواح من سورة الغضب والجموح الدنيوى ، وبعد أن يكلم دانتى بعض هذه الأرواح السادرة ينشر ضباب كثيف يغشى الوادى ، ويضل فيه الجميع (١٦) ويتعرفون الطريق على أصوات الأرواح التى تصلى لبارئها ، ثم يبرز من الضباب روح جرىء (ماركو لومباردو) فيكلم دانتى ويقنعه أن الله القدير قد وضع فى كل نفس إرادة حرة تهدى إلى الرشد أو تنتهى الى الضلال ، وأن فساد الدنيا هو الثمرة المرة لهذا المزيج غير المتكافئ فى نفوس الحكام من القوى الروحية والشهوات الحسية (١٧) وينجاب الضباب ، أو هم يخلصون منه آخر الأمر ، ويتقدم اليهم ملك جميل فيقودهم إلى الدار الرابعة من دارات المطهر ؛ حيث يقر أهل الكسل وعدم المبالاة ليخلصوا من أدرانهم (١٨ — ١٩) ويتحدث ڤرجيل حديثاً طويلاً عن الحب ، فيقسمه إلى حب طهرى وحب شهوى ، ويعزو إلى الأول كل ما يصدر من خير والى الثانى كل ما يمسخ الحياة من شر ؛ ثم يقودهما ملك آخر الى الدار الخامسة حيث يطهر الطاعون وجامعو المال من خبثهم ، ويلتقى بين هؤلاء البابا أدريان الخامس فيكلمه (٢٠ — ٢١) ويلقى دانتى الملك هوج كانت من ملوك فرنسا فيحدثه هذا عن أحفاده وذراريه من ملوك ذاك البلد . ثم نزلزل الجبل ويعيد من عليه فتهتف الأرواح الهائمة على جنباته : « المجد لك يارب . . . العظمة لك يا الله ! » . ثم يتقدم الى الشاعرين روح قد تم تطهيره وأخذ طريقه الى الفردوس ، ويدعى ستاتيوس فيشرح لهما سبب الزلزلة السالفة ثم يتقدم الى ڤرجيل فيعرفه ويكاد يطير من الفرح للقائه (٢٢) ويخب الثلاثة فى طريقهم الى الدارة السادسة حيث يطهر النهومون وأهل البطنة ، وحيث يرون شجرة[1] باسقة ذات طلع نضيد وفاكهة حلوة يفوح أرجها ، وفى أوراقها أرواح تذكر الله وتسبح بحمده ، وتشكر له ما رزقها من عفة (٢٣ — ٢٤ — ٢٥) وينظر دانتى فيرى روح صديقه فوريز الذى ينتقد بشدة هذا الملبس الجديد الشاذ الذى اتخذه أهل فلورنسا ، ثم يُرى دانتى جماعة من أصدقائه المتلبثين فى المطهر ومنهم خصمه السياسى الكبير كورسو دوناتى ، ويصل الثلاثة الى شجرة أخرى تخرج من بين أوراقها أصوات رائعة تردد أمثلة فى النهم ، ثم يتقدم اليهم ملك فيهديهم الى الدارة السابعة والأخيرة من المطهر حيث يطهر أولئك الذين كانوا لا يستطيعون كبح نفوسهم وضبط عواطفهم ساعة الغضب . وهم يطهرون ثمة فى نار حامية (٢٦ — ٢٧) وترى الأرواح الهائمة فى النار ظل دانتى على اللهب فتدهش لوجود حى من بنى الدار الفانية فى هذا المكان الأخروى المقدس ، ثم يتقدم إليه روح صديقه جيدو جوينيشيلى الشاعر الايطالى المعروف فيتحدث اليه برهة كما يتحدث اليه روح آخر . ثم يقودهم ملك كريم عبر النار إلى المعراج المؤدى إلى السماء .. جنة الأبرار .. ولكن الليل يقبل ، فيجلس الثلاثة (ڤرجيل ودانتى وستاتيوس) عند حنية رخية النسيم ، حيث ينام دانتى فيرى رؤيا جميلة . ثم يهب مع الصباح فيودعه ڤرجيل ، ويترك له الحرية الكاملة للتجول فى السماء حتى يلقى بياتريس (٢٨) ويذهب دانتى فى السماء صعداً حتى يبلغ الغابة الفردوسية الوارفة ، ولكن نهراً من أنهارها يحجز بينه وبين فتاة لاهية هيفاء وقفت فى روضة ناضرة تقطف الزهر ذا الشذى ؛ فيكلمها دانتى ، ولكن الفتاة تأخذ معه فى شرح جغرافية هذا المكان ، وتخبره أن هذا النهر الذى يفصل بينهما هو نهر ليث[2] ، وان يكن اسمه يونو فى مكان

(١) تشبه هذه الشجرة سدرة المنتهى التى سيأتى ذكرها فى الكلام عن المعراج فنلفت نظر القارىء لذلك

(٢) من أنهار الميثولوجيا اليونانية ، فليتنبه القارىء

آخر (٢٩) وتخطر الفتاة ، فى عكس مجرى النهر ، ويغشى دانتى تلقاءها ، ويتحدثان حديثاً مشجياً ، ثم يسمعان موسيقى بعيدة فينظران ، فاذا حفل حاشد فى أديم الفردوس يلوح فى الأفق .

(٣٠) وتمضى لحظة ، واذا ملاك كريم يتيه فى شفوف بيض يتنزل من السماء الى مسرى دانتى ، وينظر الشاعر ، فيرى حبيبته بياتريس هى هذا الملاك الطاهر فيكاد يجن من الفرح ... ولكن بياتريس تأخذ معه فى عتاب حلو وعذل رفيقه (٣١) فيعترف الشاعر أنه مخطئ فى كل ما أخذت عليه حبيبته ، ويركع بين يديها معتذراً ثم يسجد سجدة طويلة باكية ، وتتقدم اليه ماتيلدا — الفتاة السابقة — فتأخذ بيده ، وتخوض به لجج ليث ، ثم تقدم اليه أربع عذارى فاتنات ، يمثلن الفضائل الكنسية ، وهؤلاء يقدنه الى جريفون ، رمز المخلص ، السيد المسيح ، والى ثلاث عذارى أخريات يمثلن الفضائل الأنجيلية ، وهؤلاء يقدمنه الى بياتريس التى تنسى دانتى جمالها الخلق ، وتشغفه بجمالها الروحى (٣٢ — ٣٣) وينطلق الجميع (دانتى وماتيلدا وستاتيوس وبياتريس) ويحذرون دانتى ألا يحدق النظر فى حبيبته لئلا يعشى بصره من شدة لألائها . ثم يصلون الى دوحة عظيمة هى شجرة المعرفة التى أكل منها آدم وطرد بسببها من الجنة ، فيرى الى أطيار وأشباح غريبة تهبط من علٍ فتكون فيها ، ويتبين منها دانتى بازيا ونسراً وثعلباً وتنيناً .... وتتقدم بياتريس الى الشجرة هى والعذارى السبع فينشدنه أنشودة من أناشيد الجنة ، ثم يمضى الجميع وتكلم بياتريس دانتى ، فتكشف له عن شؤون غيبية ستحدث له فى الدار الفانية حينما يعود اليها . ويكونون عند النبع الأكبر الذى يفترق عنده النهران ليث ويونو ؛ وهنا تشير بياتريس الى ماتيلدا فتتقدم هذه الى دانتى وتسقيه جرعة من مياه يونو ، التى تكون هى وأمواه ليث عظمة الاله وحكمته وجبروته

(للبحث بقية) د . خ

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا اجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد فى الخارج ١٥ قرشاً

أندلسيات

أبو بكر بن العربى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

نترجم اليوم لامام عظيم من أئمة المسلمين ، وعلم من أعلام هذا الدين ، الذين أنجبتهم الأندلس فيمن أنجبت ، فأثروا فى العلوم الاسلامية تأثيراً ، ونظروا فيها تنظيراً ، وفصّلوا ما أجمل منها تفصيلاً ، وسجلوا من ثم أسماءهم فى سجل الخلود تسجيلاً ..

هذا الامام هو العالم الحافظ الأصولى المحدث الفقيه الأديب الثبت الثقة أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى الاشبيلى الأندلسى المعروف بالقاضى أبى بكر بن العربى .

نجَلَ هذا الامام[1] أبوان كريمان فاضلان مُعْرِقٌ لهما فى الفضل والكرم ، ومن ثم تداركته أعراق صِدْق وكان منه هذا النابغة العظيم ، ولا جرم ، فان للوراثة أثرها ، وللبيئة أثرها البالغ كذلك ، هيأها قدر من الله نافذ ، وخط فى أم الكتاب مسطور ، وذلك أن أمّ المترجم له هى بنت أبى سعيد عبد الرحمن الهوزنى صاحب صلاة الجماعة بقرطبة فى عهدى عبد الرحمن الداخل وابنه هشام ، وهو رأى أبو سعيد والد أبى القاسم الحسن الهوزنى أحد العلماء الأعلام والسروات النابهين ، وهو — أى أبو القاسم — والد أبى حفص عمر ابن الحسن الهوزنى الكاتب البارع الألمعى . أما أبو المترجم له فهو أبو محمد عبد الله بن محمد أحد فقهاء أشبيلية ورؤسائها ، وكان له عند المعتمد بن عباد أعظم ملوك الطوائف وعند أبيه المعتضد من قبله منزلة باسقة . . ولما انقضت دولة المعتمد بن عباد وسائر ملوك الطوائف باستيلاء يوسف بن تاشفين ملك مراكش على الأندلس خرج أبو محمد ومعه ابنه المترجم إلى الحج ، وذلك سنة ٤٨٥ هـ — سنة ١٠٩٢ م — وسن المترجم له إذ ذاك زهاء سبعة عشر عاماً ، إذ كان مولدُهُ سنة ١٠٧٥ م ، وقد تأدب المترجم باشبيلية قبل ارتحاله مع أبيه وقرأ القراءات وسمع أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزنى وأبا عبد الله السرقسطى وغيرهم ، وفى ذلك يقول من كتاب له : « حذقت القرآن ابن تسع

(١) نجَلَهُ وَلَدَه

سنين ثم ثلاثة لضبط القرآن والعربية والحساب ، فبلغت ست عشرة ، وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه ، وتمرنت فى العربية واللغة ثم رحل بى أبى إلى المشرق . » ولما ذهب إلى الاسكندرية سمع الانماطى وغيره ، وسمع بمصر أبا الحسن الخلعى وغيره ، وبدمشق غير واحد ، ولقى ببغداد أبا حامد الغزالى وغيره ، وفى لقائه الغزالى يقول فى كتابه قانون التأويل : « ورد علينا ذا نشمند — يعنى الغزالى — فنزل برباط أبى سعد بازاء المدرسة النظامية معرضاً عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا إليه ، وعرضنا أخيلتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالتنا التى كنا ننشد ، وإمامنا الذى به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ، وتحققنا أن الذى نُقل إلينا من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ، ولو رآه على بن العباس — ابن الرومى — لما قال :

إذا ما مدحتَ امرأً غائباً فلا تَغْلُ فى مدحه واقصِدِ
فانك إن تَغْلُ تَغْلُ الظنو ن فيه الى الأمد الأبعدِ
فَيَصغُرُ من حيث عَظَّمْتَه لفضل المغيب على المشهد

* * *

ثم حجّ فى موسم سنة ٤٨٩ وسمع بمكة أبا على الحسين بن على الطبرى وغيره ، ثم عاد الى بغداد ثانية وصحب أبا بكر الشاشى وأبا حامد الغزالى والخطيب التبريزى وغيرهم من العلماء والأدباء وقرأ عليهم الفقه والأصول والأدب ، وقيّد الحديث واتّسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام (علم التوحيد) ثم صدر عن بغداد الى الأندلس وعاج على الاسكندرية وأقام بها مدة عند أبى بكر الطرطوشى [1] فمات بها أول سنة ٤٨٣ ثم انصرف هو الى الأندلس سنة ٤٩٥ وقدم بلدة اشبيلية بعلم كثير لم يأت بمثله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق — إلا الامام الباجى كما يقول التراجم من كلة له — وسنترجم للباجى — وكانت رحلة علماء الأندلس وأدبائها الى المشرق — الى إفريقية — تونس والجزائر — ومصر والشام والعراق والحجاز ، والى خراسان وما إليها بل والى الهند والصين أحياناً — فى حركة ودؤوب عجيبين ، لا يكادان يفترقان على بعد الشقة وصعوبة المواصلات واختلال

(١) هو ابن أبى رندقة صاحب كتاب سراج الملوك ، وهو من علماء الأندلس ومات بالاسكندرية ، وكان من الزهاد الصالحين ، وكان كثيراً ما ينشد : إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

الأمن ، كما كان كثير من المشارقة يرتحلون الى الأندلس ، غير أن رحلة الأندلسيين الى المشرق كانت فى الأعم الأغلب لنشدان التبحر فى العلم والأدب واللغة والارتواء من سلسبيلها الثر الفياض إذ كان الأندلسيون يعلمون أن المشرق هو مهد العلوم والمعارف ، فكانوا لذلك يقفون من المشارقة موقف الأبناء من الآباء ، أو التلاميذ من الأساتيذ . كما كان من أغراضهم تأدية فريضة الحج . أما المشارقة فقد كان ارتحالهم الى الأندلس إما بدعوة من ملوكها للأفادة وبث العلم والفن والأدب كما كان الشأن مع أبى على القالى إذ دعاه الحكم المستنصر ولى عهدالناصر ، ومع زرياب الموسيقى العبقرى إذ دعاه عبدالرحمن الأوسط ، وإما للربح والاتجار كما كان من الرازى محمد بن موسى والد أبى بكر أحمد بن محمد الرازى كبير مؤرخى الأندلس ، وإما للاستكشاف وحب الاستطلاع خدمة للعلم من طريق السياحات كما كان من مثل ابن حوقل ، وإما للأقامة بالأندلس والاستمتاع بذلك الفردوس الاسلامى المفقود كما كان من كثير ممن نزحوا الى الأندلس وأقاموا بها ... «وبعد» فانا فى الحق لا نعلم أمة من الأمم كانت تعنى بالعلم وتحصيله ، وتعانى ماتعانى راضية فى سبيله ، عناية المسلمين الأولين . وكان ذلك منهم نزولاً على حكم دينهم وحضه على التعلم والتعليم وطلب العلم ولو بالصين ... ولمناسبة السفر وصعوبته فى تلك العصور نورد هنا نبذة للمترجم له أوردها المقرى ، قال : « ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من إفريقية قال : وقد سبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزَوْلِه [1] ، ويغرقنا فى هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت كعب بن سليم ونحن من السغب ، على عطب ، ومن العرى ، فى أقبح زى ... تمجنا الأبصار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا وكسانا ، بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف . وشرحه أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه ، فِعْلَ السامد اللاه [2] ، فدنوت منه فى تلك الأطمار ، وسمح لى بياذقته [3] ، إذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للأغمار [4] ، ووقفت بأزائهم ، أنظر

(١) الزول العجب (٢) السمود اللهو واللاه اللاهى بمعنى السامد
(٣) البياذقة فارسية معربة عن بيادة ، أى ما نسميهم المشاة ومنه بيدق الشطرنج ، والمراد هنا رجاله وأتباعه
(٤) الأغمار ، إما جمع غمر وهو الصبي الغر الذى لم يجرب الأمور ، وإما مصدر بمعنى الدخول فى غمرة الناس وزحمتهم

إلى تصرفهم من ورائهم ، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القراءة في خُلس البطالة ، مع غلبة الصبوة والجهالة ، فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه ، فلمحونى شزراً وعظمت في أعينهم بعد أن كنتُ نزراً ، وتقدم إلى الأمير من نقل الكلام إليه ، فاستدناني فدنوتُ منه ، وسألني هل لى بما هم فيه بصر ؟ فقلت : لى فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرّك تلك القطعة ، ففعل ، وعارضه صاحبه ، فأمرته أن يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصغير ، وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عمّ الأمير منشداً :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال : لعن الله أبا الطيب أوَ يشكّ الربّ ؟

فقلت في الحال : ليس كما ظنّ صاحبك أيها الأمير ، إنما أراد بالرب ههنا الصاحب ، يقول : ألذّ الهوى ما كان المحبُّ فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض والآمال ، على ريب ، فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله ، ونقاة لما يقع به ، كما قال :

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى
فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض ، في طرق الابرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتي دواعي الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ، ويسألوننى كم سنيّ ، ويستكشفوننى عنى ، فبقرت لهم حديثى [1] ، وذكرت لهم نجيثى [2] ، وأعلمت الأمير بأن أبى مَعى ، فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة الى مثواه ، نخلع علينا خامه ، وأسبل علينا أدمُعه ، وجاء كل خوان ، بأفنان الألوان ، ثم قال — بعد المبالغة في وصف ما نالهم من إكرامه — فانظر الى هذا العلم الذى هو للجهل أقرب [3] ، مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذا من العطب . . .

(لها بقية) عبد الرحمن البرقوقى

(١) بقرت حديثى فتحته وكشفته وأصل البقر الشق والفتح والتوسعة

(٢) نجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم إذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه والمراد هنا جلية أمرى

(٣) يريد المباحه بالشطرنج وليس يعاب مثله بمعرفته الشطرنج ولاسيما إذا لوحظ أن ذلك كان منه في حداثة سنه وذلك دليل على رجحان لبه وذكاء قريحته وعلى ذلك قد عاب هو نفسه مثل هذا العلم إذ جعله للجهل أقرب ا هـ

جامعة الاسكندرية

بقلم ابراهيم جمعة

المتحف الاسكندرى — جامعة على غرار الأكاديميات الأثينية — وجه الخلاف بينهما — الغرض من إقامة المتحف — راعى المتحف — جامعة الاسكندرية وجامعات العصور الوسطى في أوروبا — الشبه بين كلية الملكة وكلية أول سولز في اكسفورد وبين جامعة الاسكندرية — النظام الداخلى للجامعة — علماء هذا العصر — مكتبة المتحف

— ١ —

تحققت في مصر سياسة الاسكندر الأكبر — تلك السياسة التى كانت ترمى الى صبغ البلاد المفتوحة بصبغة إغريقية هلينية ، وقد ساعد على تحقيق حلم الاسكندر إنشاؤه مدينة الاسكندرية لتكون مركزاً لتلك الثقافة الجديدة . وقد جرى أعقابه في مصر من البطالسة على سياسته ، فجعلوا الاسكندرية من حيث التجارة وريثة لبيريه ميناء أثينا التجارية كما جعلوها وريثة لأثينا نفسها من الوجهة العلمية — وهكذا تكون الاسكندرية قد قامت في وقت هوى فيه لواء العلم من عل بمهمة سامية ظلت تقوم باعبائها عدة قرون

وكان أكبر مظاهر هذه الوراثة تأسيس بطليموس سوتر لمتحف الاسكندرية — والمتحف الاسكندرى جامعة علمية ، وإنما سميت الجامعة متحفاً لقيامها في ركن من أركانه . وقد كانت تلك التسمية شائعة في العصر الاغريقى ، فقد كان يطلق لفظ «الجنازيوم» على جامعة بيرين . . وقد انحدرت هذه التسمية من العصور القديمة الى العصور الوسطى فالحديثة ، فما زال يطلق لفظ المتحف « ميوزيوم » على بعض الأندية الأدبية في ألمانيا حتى الآن

فلا غرابة إذن إذا أطلقنا لفظ المتحف الاسكندرى وأردنا به جامعة الاسكندرية ، فقد كان كل ما في المتحف من شتى أنواع الحيوان والنبات ومن مجموعات الكتب النفيسة والمخطوطات وما إلى ذلك عوناً على الدراسة العلمية المنظمة ، والبحث في حياة الكائنات ، وتقصى الحقائق والتأليف ، مما كان في مجموعه أشبه شىء بمهمة الجامعات في العصور الحديثة

أنشأ سوتر هذا المتحف بمساعدة فيلسوف أثينى هو « ديمتريوس فاليرون » الخطيب اليونانى الذى استصحبه سوتر

فى عودته من حرب ديمتريوس ملك مقدونيـة . ومما يدعو الى كثير من الأسـف أننا لا نعثر الآن على كثير من معالم ذلك المتحف فى حين استطعنا أن نلم بكثير من المعلومات عن المعاهد المعاصرة له . ومن عجب أن يكون هذا ، لأن المتحف أنشئ فى وضح التاريخ ، وفى عصر عاهل شهير ، وفى مدينة من أعظم مدن العالم القـديم ! ولعل التنقيب يكشف عن بعض معالم المتحف الاسكندرى لو كان للتنقيب من سبيل

غير أنه لحسن الحظ استطعنا أن نصل إلى بعض انتاج المتحف الإسكندرى فى النقـد الأدبى وفى العلوم الرياضية والجغرافية وغير هذه وتلك من فروع المعرفة الانسانية ، فاذا لحظنا ضعفاً ظاهراً فى الأدب والشعر والفلسفة ، فانما يعزى ذلك الى ضعف هذا العصر الأول من عصور الجامعة فى هذين النوعين من الانتاج بالمقارنة مع أثينا وأيونيا اللتين كانتا إذ ذاك فى أوجهما العلمى

إن فـكرة جعل الاسكندرية مركزاً للتجارة ومستقراً للعلوم والآداب والفنون ، اختمرت تدريجاً فى ذهن بطليموس سوتر اختماراً ساعـد على اخراجه الى عالم الحقيقـة ذلك الفيلسوف الاغريقى . . وكان لا بد أن يكون تأسيس المتحف على غرار يونانى بحت ، إذ أنه وليد فكر يونانى كما نرى . .

نشأت المدارس اللاتينيـة بادئ الأمر فى شـكل حلقات للدرس ، تنتظم حول معـلم يتحدث إلى تلاميذه فى فرع من فروع المعرفة ، وما لبثت هذه الحلقات أن استحالت الى هيئات علمية منظمة ، عرفت كل منها باسم معلمها الأول ، واتخذت اسم « الأكاديمى » وقد كانت هذه الهيئات العلمية فى بلاد اليونان بعيدة عن أى إشراف حكومى ، إلا فى الأوقات التى كانت ترى فيها الحـكومات ضرورة قصوى للتدخل فى حريتها العلمية ابتغاء الحد من تلك الحرية ، محافظة على سلامة الأداة الحـكومية من أى شطط ينتجه التفكير الحر

أما فى مصر فقـد حتمت البيرقراطية الحربية أن يكون المتحف تحت الاشراف الحـكومى المباشر وفى رعايته . وهكذا كان المتحف ، أو كانت جامعة الاسكنـدرية ، من بدء إنشائها هيئة حكومية تستمد وجودها مباشرة من الملك ، ويستمد كل فرد من أفرادها حريته منه

لم يكن الغرض الذى قصد إليه بطليموس من إنشاء هذا المتحف هو أداء رسالة معينة تصدر عن ذلك المعهد ، ولم يكن هو يدرى فى كثير أو قليل الفرق بين المعهـد الذى أنشأه وبين تلك الأكاديميات الأثينية التى ازدهرت فى أثينا ، وإنما الظاهر للباحث أنه قصد من وراء إنشائه الى غرض قد يكون سياسياً وقد لا يكون ، قصد إلى أن يجعل المدينة التى جعلها الاسكندر عاصمة له مركزاً لحكم العالم الهلينى بأسره ، فمن أجل هذا كلف سوتر بالاستيلاء على مقدونية ، وبفرض سيطرته المطلقة على البحر الأبيض الشرقى ؛ ولا شك أن هذه السياسة شبيهة بسياسة التوسع التى جرى عليها الاسكندر مع فرق جوهرى هو أن الاسكندر كان يجعل مقدونيا نواة لامبراطوريته ، بينما كان سوتر يرمى الى جعل مصر التى آلت إليه بعد موت سيده نواة لامبراطورية بطليموسية

والذى يتأمل فى شخصية سوتر لا يرى غرابة فى سمة أطماعه التى أصبحت الاسكندرية بحكم الظروف مركزها الطبيعى ، لهذا لم يأل سوتر جهداً فى توفير مظاهر الأبهة والعظمة لمدينته الخالدة ، وإذن فقد كان الغرض الأول والأخير من إنشاء المتحف هو أن يجمع فى الاسكندرية جمهرة من العلماء تفكر ، وتحاضر ، وتكلف بالبحث ، امتازت بتفوقها العلمى والأدبى لأنها كانت جمهرة منتقاة ابتغاء التشبه بأثينا وعلمائها ، أثينا عاصمة العالم الهلينى ومستودع علمه . . وبهذا تـكون رغبات سوتر منحصرة فى أن يسلب مقدونيا نفوذها السياسى ليتركز فى مصر ، وأثينا نفوذها العلمى ليستقر فى الاسكندرية

وكانت هذه الجمهرة من العلماء تسكن المتحف ، تحت إشراف رئيس دينى يعينه الملك من الـكهنة ، ويجدر أن نذكر هنا أنه لم يكن مصريا كمعظم هيئة المتحف ، وقد كانت مهمته قاصرة على رعاية المتحف رعاية دينية ، وهو تقليد جامعى نقلتـه جامعة الاسكندرية عن جامعة أثينا بشىء من الاختلاف ، إذ كان راعى الأكاديمية الأثينية ينتخب انتخاباً . أما راعى جامعة الاسكندرية فقد كان يعين تعييناً لمدة تطول وتقصر تبعاً للارادة الملـكية

ولـما أن استطاع سوتر أن يجعل للاسكندرية مكانة سياسية ممتازة ، وتمـكن فى الوقت نفسه أن يحيطها بجو علمى خاص ، أمها الطلاب من جميع أنحاء العالم الهلينى يطلبون العلم على خير أساتذته

وقد كانت مهمة هذه الجامعة الناشئة أول أمرها قاصرة على النقد العلمي ، والنظر في مؤلفات السابقين ، دون أن تكون مبتدعة أو مضيفة إلى الثروة العلمية . وتعوزنا المعلومات عن عدد الطلاب المختلفين إلى حلقات الدرس بالجامعة ، وعن نظام معيشتهم ، وعن العلاقة بين هؤلاء الطلاب وبين أساتذتهم لنستشف من هذه العلاقة شيئاً عن الروح الجامعية في جامعة الاسكندرية

وفي هذا السبيل لم نصل إلى أكثر من أن عدداً من الطلاب الغرباء أم الاسكندرية طلباً للعلم ، ولا بد أن يكون هذا العدد قد سكن المتحف أو سكن المدينة على مقربة من المتحف ، حيث لم يكن لهم في المدينة غاية غير الدراسة

حقاً لقد كان بالمتحف أروقة ، ولكن الشائع أنها كانت لسكنى العلماء ، ولكن حقيقة معينة تدعو إلى الاعتقاد بأن الطلاب عامة سواء أكانوا من الوطنيين أم الأجانب النازحين ، كانوا يساكنون الأساتذة في تلك الأروقة ، تلك هي التي يذكرها « مافي » في كتابه « الحياة والعقائد الاغريقية » ويقرر فيها أن نظام جامعة الاسكندرية كان كنظام « كلية الملكة » في اكسفورد في أول إنشائها ، أشبه شيء بمدرسة داخلية يختلف فيها الطلاب إلى دروس يلقيها الأساتذة ثم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى الاستذكار . وأقل ما يؤخذ من هذا أن الطلبة كانوا يعيشون مع أساتذتهم في بناء واحد ، ومن شأن هذا أن يعطى مجالاً للتعاون العلمي بين الطلبة من ناحية وبين الطلبة وأساتذتهم من ناحية أخرى ؛ ومن شأنه أيضاً أن يظهر الجامعة بمظهر لا يتفق مع سمو النظام الجامعي الذي يجب أن يكون أميز خصائصه البحث العلمي ، وأخذ الطلاب به تدريجاً حتى تنمو فيهم ملكته . وهذا ما فطنت إليه جامعة الاسكندرية ، فنزلت عن النظام العتيق تدريجاً واشترك الطلبة في الأبحاث العلمية ، وقاموا أحياناً بواجب الأساتذه تمريناً لهم على مزاولة التدريس الجامعي . ووقعت جامعات أوربا في العصور الوسطى — ولاسيما كلية الملكة في اكسفورد — في مثل ما وقعت فيه جامعة الاسكندرية من خطأ ، ولكنها أدركت ما في هذا النظام من قصور ؛ وجاءت كلية « أول سولز » في شكلها الأخير مصححة لهذا الخطأ في النظام الجامعي حيث يقوم « الرفقاء » بأبحاث علمية وأدبية بعد حصولهم من جامعة اكسفورد على درجاتهم العلمية

ويحق لجامعة الاسكندرية أن تفاخر جامعات العالم طرا بما سبقت إليه من جمع الآداب اليونانية ، وتهذيبها ، وتنقيتها من الشوائب ، بما توفر لعلمائها وطلابها في زمن بطليموس فيلادلف من المقدرة الفائقة على النقد الأدبي

ولم تكن الجامعة معهد العلم الوحيد في المدينة ، فقد كان إلى جانبها بعض المدارس اليهودية يتلقى فيها أبناء اليهود شرائع ديانتهم — وقد صحب دخول المسيحية نشأة بعض المدارس النصرانية ، ناوأت الجامعة واليهودية معاً ، وفيها نمت القومية المصرية ، ونضج الشعور القومي ، وانتقض في وقت ما على الآثار الاغريقية والرومانية كما سنفصله فيما بعد

ويذكر « مافي » في كتابه « إمبراطورية البطالسة » أن جامعة الاسكندرية اتخذت نموذجاً لكل الجامعات التي تلتها في أوربا ، فعلى غرارها تأسست جامعات أوربا في العصور الوسطى

أما المكتبة الشهيرة فلا تمدنا المصادر التاريخية بشيء قاطع في شأن مكانها : أكانت متصلة بالتحف ، أم كانت منفصلة عنه ، وهل كان أمين تلك المكتبة — وهو شخصية عرف عنها كثير من الفضل والأدب — عضواً من أعضاء المتحف . والغالب على الظن أن المكتبة كانت وثيقة الاتصال بالمتحف ، تمد الباحثين فيه بحقائق العلوم التي وصل إليها الاغريق في أثينا وأيونيا من قبل

وترجح أن تكون أول مكتبة أنشئت مع المتحف في وقت واحد في حي البروكيون — ولا يذكر « سترابو » ، وقد زار الاسكندرية في عهد أغسطس شيئاً ما عن المكتبة أو عن احتراقها — وكل ما ذكره « ديودور » أنه اطلع على نشرات كانت تصدر في البلاط الملكي استمد منها بعض معلوماته

ويغلب أن تكون المكتبة قد جمعت بنفس الطريقة التي جمعت بها بعض المكتبات الانجليزية الشهيرة كمكتبة « سنيرلاند » ومكتبة « سبنسر » كما تجمع وتقتنى قطع الخزف الأثرية أو الصور التاريخية سواء بسواء

« للبحث بقية »

ابراهيم جمعه

من أدبنا المجهول — شاعر يرثي ولده بديوانه

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبي الحسن الحصري (١)

[للأستاذ الزيات عزاء وسلوة]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٣ —

نموذج من شعره :

قال أبو الحسن علي الحصري من قصيدة — وهي الأولى —

حاشاك من نار على الأحشاء   يزداد ضِعفاً حرها بالماء
عزيتني فيما ترى وعزوتني   للصابرين ولات حين عزاء
من لي بأجر الصابرين وأعظمي   موهونة من أعظم الأرزاء
هل مستطيع أن يكفكف دمعه   من لا براح له على البُرَحاء
لهفي على ريحانة راحت إلى   مثوى ثواب ليت فيه ثوائي
سالت حشاشة نفسه من أنفه   فشهدت منه مصرع الشهداء
ونظرت في قطع الرعاف فلم تمط   حكم المنية حيلة الحكماء
فإذا أراد الله ميتة مدنف   أخفى على الآسي دواء الداء
داواه من أدواه حتى قال لي   لا تأتني من ذا الردى بدواء
لا أشتكي أني حرمت إجابة   لولا شعوب لدعَّ عنه دعائي
والخير فيما اختار خالقه فقد   آلت به الضراء للسراء
ولقد يَسُرُّ الله بالبأساء في   أحكامه ويضر بالنعماء

* * *

عرضت له تفاحةٌ نفاحة   بعضُ الأماء فرد بالأيماء
ولو استطاع القول قال مشافها   تفاح جنات الخلود شفائي
عبد الغني لك المسرة غائبا   ولي المساءة مصبحي ومسائي

وقال من قصيدة :

كان عبد الغني للعين نورا   ولقلبي هدى وللعيش طيبا
كان شيبي به شبابا فلما   بان رد الشباب مني مشيبا
كنت في غربتي كأني به في   وطني ، فانقضى فعدت غريبا
لم يدع فقده لمغناي معنى   فخلا آهلا وضاق رحيبا
لست أنسى مقامه ومقامي   وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعيني   تنثر الدمع بالعقيق مشوبا
ضمني شاكيا إلى فقلبي   كلما يشتكي يطير وجيبا
وبودي لو احتملت فداء   عنه ذاك الضنى وتلك الكروبا
لم أطق فيه حيلة غير أني   مذ قضى نحبه ألفت النحيبا
مات من كنت أقطع البيد جرا   ء وأرجو المنى وأخشى الخطوبا
ما أعز الحياة للمرء ! ما أبـ   ـعد آماله وأدنى شعوبا
ما أقل الوفاء ، ما أضعف الطا   لبَ في ذا الزمان والمطلوبا
يا حبيب الاله لولا المنايا   لشفي منك ما أعل الطبيبا
يوم ناديتَ : (فرج الله كربي   إنني اشتقت مسجدي والأديبا
ولداتٌ سبقتهم لحقوني   صار من كان غالباً مغلوبا
طال سقمي فارفع دواتي وأقلا   مي ولا تمح لوحي المكتوبا
فإذا ما أفقت أدركت من فا   ت وعادت عنقاؤهم عندليبا)
قُلتَ ما قلت ثم زاد سقام   ودم غادر البياض شحوبا
فجرت عبرتي وأحسب نفسي   فجرت ، كان برّها أن تذوبا
ولدي ! كيف نستوي ؟ انا في حرّ   الرزايا وأنت في ظل (طُوبى)
أنت حيث المقربون فأبشر   وسل الله أن أراك قريبا
خضعت بعده رقاب لداتٍ   كان فيهم معظما ومهيبا
كان يهدي قلوبهم ثم ولى   فمعوا الآن أعينا وقلوبا
حق لي أن أشق قلبي بكاء   لا أوفيك إن شققت الجيوبا

وقال :

إن قلوبا وجبت   حق لها أن تجبا
مثلك يا عبد الغنيّ (م) البرّ   لن أنتجبا

وقال من قصيدة :

يا نور عيني فقدتُهْ   ففي الفؤاد وجدتُهْ
يا كوكبا لقبوني   بالبدر يوم ولدته
لم يهد ركني سناه   حتى خبا فألحدته

(١) راجع العددين ١٠١ و ١٠٢ من الرسالة

أنت النجيب ولكن أبى الردى ما أردته
حلت يد الدهر عقداً قد كنت من قبل شدته
أعارنى منك علقا ثم اقتضى فرددته
بل سرنى فيك ربى وساءنى فحمـدته
تقاصر اليوم باع للفخر فيك مددته
سهرت بعـدك ليلى وطالما قد رقدته
وكم نضحت بدمعى حر الحشا لو بَرَدته
يارب وف المرا دِى بولده ماوعدته
لا ضيع الله أجرى فأى وجد وجدته
أيوم مصرعه أم يوم الحساب شهدته ؟
كان ابن تسع ولكن فى الأكثرين عددته
لا حبذا العيش إنى على الممات حسدته

* * *

عبد الغنى مفيدى من الغنى ما أفدته
بيمنه كنت مهما نصبت لليث صدته
وما زرعت رجائى فى الصلد الا حصدته
يا ابنى الذى كان يبنى مجدى وإن كنت شدته
حططتنى يوم أوديـ ـت من منيف صعدته
قميص مصطبرى من قبـــل عليك قددته
وفى جوارك أحببـ ـت مضجعى لو مهدته
لعل قربك يشفى كربى كما قد عهدته
إنى وربى هـدانى لنوره فتبعتــه
ما غاض بعدك ثكلى إلا بكيت فزدته

وقال :

بكيت من سكن فى أضلعى سكنا
لو عاش لى لكفانى الدهر أوقاتا
فى كل وقت على فقديه أذكره وربما نسى الأحباب أوقاتا

وقال من قصيدة :

دهر حوادثه شتى الأحاديث فاسمع بما شئت عن نوح وعن شيث
تغرنا دارنا الدنيـا بزخرفها ونحن فى طلب الموت محثوث
تُوفِّىَ الخلف الزاكى وعشت كما
ترضى العدى عيش مكروب ومكروث

حتى أعاف شراباً لست أمزجه بعبرتى وطعاماً غير مغلوث
وكنت فى جنـــة حفت جوانبها
بالزرع والنخل والأعناب والبوث
فأصبحت يوم أودى وهى خاوية جرداء من كل مغروس ومحروث
ويلاه ويلاه لا أشفى بتثنية حتى أزيد ولا أشفى بتثليث
بكيت مستسقياً للـدمع حين جرى
فلم أزد نار قلبى غير تأريث
أحب لقياه والبقيـــا لأندبه
فيا شعوب اعجلى إن شئت أو رِيثى

* * *

أهم بنبشى قبرك الطيب الثرى
لعلى أستشفى وإن حرم النبش
كأنى وقد أودعتك القبر طائر
كسير جناح لا فراخ ولا عش

الى العبد

قد كنت هيمان مهموماً بلا جلد فزدت ضعفين فى همى وتهيامى
عهـدت ليلتك البيضاء نيرة فـما لها كللت عينى باظلام
حتى تناسيت ماعودت من فرح وقُبحُ يوم يُنَسى حسن أيام
فما لبست سوى الأحزان سابغة ولا نحرت سوى إنسانى الدامى
ولا برزت لزوارى مخافة أن أساء منهم بطلق الوجه بسام
ورافل فى جديد كان يرفل فى مثاله ابنى غداة العيـد مذ عام

* * *

حبيبَ نفسىَ لو أعطيت ساكنها
أصاب نحرى وأخطا نحرك الدامى
كأننى لم أكلم منك نابغة ولا رأيتك ملء العين قدامى
ولا سمعتك تتلو الذكر فى سحر بصوت داود فى إفصاح همام
مخايل فيـك راقتنى محاسنها سَرَّت بيدء ولم تسرر باتمام
الحمد لله عدل منك ما نفذت به المقادير من نقض وإبرام

سيد أحمد صقر

حاشية — أقحمت سهوا ترجمة الحذاء على أنها ترجمة للجلولى والصواب حذفها (أنظر الرسالة ١٥١ ص ٨٩٧)

من تلميذ إلى أستاذه

بقلم محمد عبد السلام بحر

منذ سنوات خلت كنت أجلس أمام معلمي الأستاذ عبد الله عفيفي فى درسه وكلي أذن صاغية وقلب واع لما يدور فى خلده من شتى المعانى والصور، فيجرى على لسانه خير آيات وعبر بين جدران الفصل الأربعة، وفى ذلك العدد القليل من زملائى، كنت أنتهل من مورده العذب فى صمت مقتنعاً برأيه لا أنبس ببنت شفة — ولقد عودنا الأستاذ فيما عودنا حرية الرأى — فاليوم وقد نضجت فى أثماره فليهنأ بجنيها — ولكن أما وقد كبر الشيخ وذهبت أسنانه بددا — فليعان قضمها، وليسمح لى بأن أجابهه بلسان الحق وعلى ملأ من الأدباء بمناقشة أدبية فى قصيدته التى رثى بها المغفور له الدكتور شاهين باشا. ولكن فى رفق كما كان يرفق بى، وفى أدب كما يجب أن يتأدب ولد مع والد

لقد قال الأستاذ:

أشكو الأسى وبدا الآسى موسدة   لقد تمادين فى الاسراف أيامى

ولقد سبق فضل الأستاذ على فعلمنى أن الفعل يطابق الفاعل إفرادا وتثنية وجمعاً، تذكيراً وتأنيثاً إذا جاء بعده، أما إذا سبقه فيجب افراده؛ وترونه هنا يقول (تمادين أيامى). معاذ الله أن أقول إن الأستاذ نسى هذه القاعدة. أو إنه تغافل عنها لضرورة (الوزن)، وإنما أقول إنه يكشف عن آثار اللغات القديمة أمثال لغة (أكلونى البراغيث) التى كثيراً ما كان يعيب علينا وقوعنا فيها فى موضوعاتنا الانشائية

ثم يقول:

. . . . كد لعقل واشتغال لأفهام

وهنا لا أقول إننى بحثت عن (اشتغال) فى معاجم اللغة فلم أجدها، وإنما أذكر الأستاذ بطرفة من طرفه الممتعة التى كان يخفف بها عنا عناء الدرس إذ قال: — كتب أحدهم مرة إلى ابن العميد — (أريد إشغالى عندك) — فرد عليه ابن العميد — (إن من يكتب لى إشغالى، لا يصلح لأشغالى)

ثم يقول:

. . . . عن نوح نائحة أو دمع أقلام

وفى بيت آخر:

. . . . رقبى الهلال على ديباجة العام

هنا لا يمكننى أن أقول إننى لا أفهم (دمع الأقلام ولا ديباجة العام) — فان تأنيب الأستاذ فى مثل هذه المواقف لا زلت أذكره ولا يزال يرهبنى — وانما تخلصاً من هذا المأزق أقول إن الأستاذ يتصرف فى المعانى تصرفاً قياسياً، فهو يقول: (دمع الأقلام وديباجة العام) وأنا أطأطئ رأسى خاشعاً لهذه البلاغة العميقة فهى ليست على قياس (جناح الذل وماء الملام) فحسب، بل هى أبلغ من هذا وأسمى. على أنه فى نفس الوقت كان يقصد (بديباجة العام) — ديباجة الشهر، ولكن استلزمته القافية لأن يخلق هلالاً سنوياً على رأس أهلة الشهور الاثنى عشر لا يرقبه سواه

ثم يقول:

أبو الأطباء أودى ليت ناعيه   لاقى الردى قبل منعاه بارغام

هنا يخيل إلى أن الأستاذ قد آلى على نفسه إلا أن تكون القصيدة أربعين بيتاً كاملة، فقد زج بهذه الألفاظ فى هذا القالب زجاً — أو أنه قال: أبو الأطباء أودى — وقد تورط فرأى أن يدعو على الناعى الذى لا ذنب له فأتى بباقى البيت التزاماً للقافية — وأما إذا كانت هذه هى سنته فى كل مصرع فأولى به أن يدعو على سيدنا أبى بكر الذى نعى موت الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال: «من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت». ثم يقول:

مضى الطبيب الذى للطب من يده   إحياء أفئدة موتى وأجسام

هنا تأخذنى الحدة ولا أذكر ورقة العقاب وأقول (لا احياء فى العلم) وأعلن رأيى جهاراً بأن الأستاذ لم يتحفظ فى هذا البيت بل كبا كبوة ما لها من مقيل. متى أحيا شاهين باشا الموتى؟ دون هذا وينفق أطباء العالم. ثم لأذكر فضل الأستاذ على فلا أبارزه بحسامه، ولأهدأ قليلاً ثم أصلح له زلة كم أصلح لى من أمثالها فأقول:

مضى الطبيب الذى للطب من يده   شفاء أفئدة مرضى وأجسام

ثم يقول:

. . . . وليس للموت من نقض وإبرام

هنا أنسته المشاكلة اللفظية أن الموت قضاء مبرم وأنه هو ينفى إبرامه؛ ثم يقول:

الامتيازات الأجنبية

للأستاذ محمد الأسمر

ماعندكَ اليوم من معنًى ومن كَلِمِ جلَّ المقام عن القرطاسِ والقلمِ
أرضُ الفراعينِ ذلَّتْ بعدعزّتها مَنْ جرَّأ الذل حتى حلَّ بالأجمِ
فلو ترانا ونحن المالكون لها رأيتنا وعلينا ميسمُ الخدم
جاء النزيلُ فأكرمنا وفادتَهُ واليومَ نسأله شيئاً من الكرم
فأعجبْ لمصرَ وكم في مصرَ من عجبٍ
وانظر إلى القلبِ فى الأوضاع والنظمِ
كدنا لما صار من عكس الأمور بها
نمشى على الرأس لا نمشى على القدم
كنانةُ الله تلك اليوم حالتُها وجودُها أشبهُ الأشياءِ بالعدم
لهوُ الأجانبِ فيها لهوُ منتصرٍ عاثت كتائبُه فى أرض منهزم
يُمثّلون عليها من حقائقهم ما لا يمثلُه الكابوسُ فى الحلم
روايةٌ هى مأساةٌ ومهزلةٌ فإن تشأ فابكِ أو إن شئت فابتسم
روايةٌ قذف الأتراكُ مسرحَها عن أرضِهم مثلَ قذف البحر للرمم
رموا به أنفاً من أن يقال لهم ما باله وهو عار غيرَ منهدم
ونحن لسنا بدون الترك منزلةً ونحن لسنا بدون الصين والعجم
هُمْ حطّموه فمامالَ الوجودُ بهم ولاتداعت نواحى الأفق بالسُّدُم
هم حطّموه ورحنا نحن نحمله فوقَ الكنانةِ حمل الهم والسقم

* * *

الأجنبىُّ على الوادى يسيرُ به كما تسيرُ رعاة الشاء بالغنم
من يوم حلّ به ضيفاً تملكه ينهى ويأمرُ فيه غيرَ محتشم
ينهى ويأمرُ فيه جائراً أبداً فمن يقولُ له أخطأت فاستقم
ينال ما يشتهى منه وليس لنا إلا الفتاتُ، وما يُلقى من اللُّقم
تشكو المجاعةَ بالوادى عشيرتُه والأجنبىُّ به يشكو من التخم
الغرم قِسمتُنا والغُنم قسمتُهم لبئس ما فرضوا فيه من القِسَم
لولم نكن رمماً فى الناس ماظفرت بنا عصائبُ للغربان والرَّخَم
حامت علينا، ولوألفت بنا رمقا لأجفلت مثل ما جاءت ولم تحم
حطّت جياعاً، فلما أتخمت نهضت
كيما تطيرَ، فما اسطاعتْ، فلم تقم
فهى الغداةَ بوادى النيل جاثمةٌ مقيمةٌ أشبه الأشياء بالهرم
فما يزحزحها شعرٌ نصيح به ولا البليغ من الأمثال والحكم
لا يدفع الضيمَ قولٌ أنت قائلُه بل يدفع الضيمَ غرمٌ غيرُ منفصم
ويدفع الضيمَ بأسٌ لا مَرَدَّ له ويدفعُ الضيمَ شَعْبٌ غيرُ منقسم
خاطبْ بكفك إن لم يستمع أحدٌ لعلَّ فى اليد ما يشفى من الصمم
واعلمْ بأن براهينَ اللسان إذا لم تدَّرعْ قُوَّةً شرٌّ من البكم
لولا أظافرُ للآساد مرهفةٌ لم يرهب الناسُ زأرَ الضيغم القرم
لا يَنزِلُ الظلمُ عن ظهرٍ طَواعيةً
إن لا يزلْ عنهُ رغم الأنف لا يَرِم

* * *

فى (الامتيازات) ما أغرى النزيلَ بنا
فيالها نِعَماً جرّت إلى نِقَمِ
وغرسُك الخيرَ فى الأرض التى خلقت
للشرِّ غَرْسُكَ للأعواد فى الضرم
لا تنبتُ النارُ يوماً ما لكم شجراً ولا تسوقُ إليكم هاطلَ الديم

. . . . لو رامه الليل لم يلمم باظلام

ولا أدرى كيف قال هذا مع أننى أعلم جيداً أنه يمقت مثل هـذه المبالغة المتطرفة وهو على يقين من أن الليل والنهار نظام لا يتغير (وكل فى فلك يسبحون)

ثم يقول:

. . . . من وحى طبعك لا من وحى أقلامى

فما أظن أحداً قبل هـذا قال إن للأقلام وحياً — ما كان أصوبه لو قال (من محض إلهامى)

هذا إلى أننى تحاشيت أشياء أخرى مخافة أن يرمينى بعض سيئى الظن بالعقوق، فى حين أننى لم أكتب هذا إلا تحاشياً لمهاجمة ناقد متبجح يناقشه الحساب العسير، ولأبهج نفس الأستاذ بتلميذ له بلغت به الشجاعة الأدبية الى الوقوف أمام أستاذه وقوف الند للند يسائله ويساجله مع احترامه لشخصه المبجل كمعلم فاضل وكأديب إمام

محمد عبد السلام محمد

تأبى طَبائعُ قومٍ عنهمُ حِولا — فاستخلصوا ماوهبتم قبلُ للأمم

لو سِيمت العجمُ ما سيمَ الحمى غضبت
على الشكائم واستعصتْ على اللجم

ثوبٌ من العارِ قمنا اليوم نخلعه — كفى كفى ما لبسنا منه فى القدم

كم فرَّ من يدك الشلاء متهمٌ — يأيها الوطنُ المرميُّ بالتهم

وكم قتيـل على الوادى وقاتله
فى (الامتيازات) مثلُ الطيرِ فى الحرم

صَعْبُ المنالِ على القانون ممتنعٌ
كالنجم فى الأفقِ لم يدركْ ولم يُرَم

هذا هو الذلُّ لا أذلُّ الغريب ولا — ذلُّ الرقيقِ بسوق الأعْبُدِ القزم

وما ذليلٌ له أرضٌ لها علمٌ — مثلُ الذليل بلا أرضٍ ولا علم

لا يفعلِ الخيرَ بعدَ اليوم فاعله — مَنْ يفعلِ الخيرَ يندمْ أيَّما ندم

أقسمتُ بالله لو أغنى دمى لمشت — نفسى به ، وقليلٌ للبلاد دمى

محمد الأسمر

جبـــل النار

(جبل النار لقب يطلق على جبل نابلس وهو سلسلة جبال تدور فيها أشــد المعارك بين الثوار المجاهدين وبين الجنود البريطانيين)

للأستاذ أبو سلمى

جبـل النار يا أعز الجبال — أنت لا زلت معقـد الآمال

ينبت المجد فوق سفحك فينا — ن وتسقيه من دم الأبطال

يفضح الصخر عن شمائل أبنا — ئك فوق اللظى وعند النزال

ما ذكرنا حماك إلا انتسبنا — وانتشت نخوة رؤوس الرجال

يفزع « التَّنْكُ » من صياصيك
« والرشاشُ » يخشى حتى من الأدغال

***

أيها الثائرون فى جبـــل النا — ر سلاماً يا زينة الأجيال

لكم الله يا حماة فلسطيـ — ن زحمتم مصارع الآجال

تحملون الأرواح فوق أكف — وتبيعونها ولكن غوالى

ورصاصاتكم تمر على الأيا — م حمراً مضيئة فى الليـــالى

تصرع الطائرات مثل طيور الـ — جو تهوى ما فوق تلك التلال

يسمع الجند فى صداها لغى المو — ت فلا يثبتون يوم القتال

***

أيها الثائرون قولوا فان الـ — كون يصغى إلى لهيب المقال

والمعوا فى غياهب الظلم تجلو — ها فان الجهاد رحب المجال

إنما الحق من بنادقكم يسـ — طع والعدل من وراء العوالى

أنظروا اليوم كيف يلتفت الـ — تاريخ حتى يرى بريق النصال

جبل النار ! زأرة تجعل الدهـ — ر يحيِّى محطم الأغـلال

جبل النار ! لم تخلدك إلا — ثورة فى سبيل الاسـتقلال

جبل النار ! اقذف النار حتى — نبصر النور يا أعز الجبال

(فلسطين) **أبو سلمى**

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب علم الآثار تأليف الأسـتاذ جاردنر وتعريب الأستاذ محمود حمزه أمين بالمتحف المصرى والدكتور زكى محمـد حسن أمين دار الآثار العربية

وهو الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، استعرض فيها المؤلف تاريخ علم الآثار والنتائج التى وصل اليها المنقبون وعلماء الآثار فى العصر الحديث . وقد أطال فى تاريخ دراسة الآثار اليونانية ، وألم المامة بأحدث الاستكشافات فى القطر المصرى وبلاد ما بين النهرين . والكتاب طريف فى اللغة العربية لقلة ما كتب بها فى هذا الفن

والكتاب يقع فى ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وثمنه ستون مليما ، ويباع فى دار اللجنة رقم ٩ شارع الكرداسى بعابدين وفى المكاتب الشهيرة

القصص

قصة سورية واقعة

النهـــاية ....

للأستاذ على الطنطاوى

فى ليلة قمراء من شتاء ١٩٢٩

بينما كان حىّ المهاجرين (فى دمشق) يرفل فى حلل الرخاء والترف ، ويجر أثواب الدعة والنعيم ، ويثب من الطرب ، ويمشى على الذهب ... وبينما كانت قصوره البُلْق تشتعل بالكهرباء فتأتى فى الليل بالنهار ، وشوارعه المتوازية الصاعدة إلى سرّة الجبل تمايل أشجارها تمايل العروس ، وتلوح أنوارها للعين ، كأنها فى تسلسلها وانتظامها حبال اللؤلؤ ، ويسبغ عليها القمر حلة منسوجة من خيوط النور ، وتتراقص على نسيمها المعطر نغمات الحاكى والمذياع ...

... كان فى الشارع العام الممتد على سفح الجبل ، شيخ همّ ، أبيض اللحية ، متفكك العظام ، مقوس الظهر ، قد أخنى عليه الزمان ، وحطمه الدهر ، يسير منفردا يتوكأ على عصا ، لا أنيس له إلا ظله الذى يمشى معه ، ينمو ويتطاول كلما ابتعد عن المصباح ، ثم يضعف ويختفى ، ثم يولد ظلّ جديد . ويبدأ قوياً واضحاً ، كما تنمو الكائنات وتقوى ، ثم يدركها الضعف ، ثم تبيد لتأخذ مكانها كائنات أخرى أقدر منها على العيش ، وأحق منها بالحياة ... حتى بلغ (قصر الوالى) ، هذا القصر الأبيض الفخم ، المعتزل وسط الجنائن الواسعة ، الذى يخطر أمامه الجندى الذى يحمى (حمى رئاسة الجمهورية ...) فوقف على الدرابزين[1] وجعل يحدق فى القصر ويتأمل شُرَفه ونوافذه المضيئة ، ويستمع الى صوت الحياة الرغدة الناعمة ينبعث من غرفه وأبهائه ، حتى علق بصره بغرفة بعينها ينبثق منها ضوء شديد ، فجعل يحدق فيه حتى زاغ بصره وعراه شبه دُوار ، فجلس على طرف الدرابزين وأمسك بحديده البارد ، وألقى برأسه على كفه ، وانطلق يفكر ... يفكر فى دنيا بعيدة ... بعيدة جدا ، قد طم عليها لجّ النسيان ؛ يعالجها بالذكرى ، فيراها ينحسر عنها الماء ، وتبدو له شيئاً بعد شىء ، وتعرض عليه كما يعرض (فلم سينمائى) غريب عنه لا عهد له به ، ولا صلة بينه وبينه ، وان كان من القائمين به ، والممثلين فيه ...

... ففتح عينيه ، وراح يحدق فى الظلام

* * *

رأى دمشق فى أواخر القرن التاسع عشر — وهى ولاية عثمانية — ورأى ناظم باشا (والى دمشق) وقد أصبح ذات يوم لقسَ النفس ضيق الصدر ، فأقبل على عمله فلم يجد له عزماً . فعمد إلى المطالعة والتسلية فلم يزدْ الا ضيقاً . فأمر أعوانه أن يتمموا له منزلاً جميلاً مشرفاً ، فينصبوا فيه خيامه ، ويعدّوا فيه مجلسه ، ليصطبح فيه ، وينزله بقيّة يومه . فتسابقوا إلى طاعته ، وتباروا فى خدمته ، فلم تكن إلا ساعة واحدة حتى كان المجلس معداً . فلما جلس واطمأن نظر فرأى منظراً عجباً ، ما رأى له مثيلاً وقد جاب أنحاء المملكة : رأى كأن أمامه متحفاً للطبيعة فيه من كل مشهد صورة ، ومن كل لون مثال ؛ فحواليه تلال وسفوح ما لها حدّ ، وعن يمينه جبال صخرية قائمة فيهـا روعة وعليها جمال ، ومن أمامه (يزيد) يجرى زاخراً مزبداً يحيط بهذه السفوح ويحدق بهـا ، وهو يلمع فى شعاع الشمس فتخاله العقد مستديراً بجيد حسناء ، ومن وراء النهر الغوطة الخضراء ، إحدى عجائب الدنيا ، تمتد إلى نهاية الأفق ، والمزّة وصحراؤها الواسعة ، وسهولها الفيح ، فلم يكن يشاء أن يرى جبلاً ولا نهراً ولا خضرة ولا بادية إلا رآها ، والسماء تبدو حيال الأفق كأنها البحر ، يا لروعة البحر فى دمشق . . !

(١) معربة من قديم ، وفى العربية بمعناها : الحلفق

ودمشق تظهر من بعيد، وهي نائمة على هذا البساط السندسي الأزلي، عليها غطاء من نسج الغصون موشى بالزهر، وقد هبّت عليها نسائم الصباح الرخيّة، تمسّ وجهها مساً رفيقاً، وسقسقت في أذنيها العصافير توقظها برقة ولطف، وهدر في مسامعها بردى يهزّها كي تفيق ...

والجامع الأموي يظللها بقبّته المشمخرة العالية، ومآذنه الطويلة السامقة، وبنائه الضخم الهائل، الذي يحمل أعباء القرون الثلاثين التي مشت عليه، مذ كان معبداً وثنياً — إلى أن صار — كنيسة نصرانية، إلى أن سما فكان مسجداً إسلامياً، يجهر فيه بالأذان، فيرنّ صداه على ضفاف الكنج، وشاطئ اللوار، ويقوم الناس إلى الصلاة صفاً واحداً ممتداً من قلب الهند إلى قلب فرنسا

فانتفى عنه الهمّ، وطار به السرور، فسأل من حوله:

— ما للدمشقيين لا يبنون هنا، ويقيمون على هذا السفح حيّاً لا يكون مثله مصيف في الدنيا ولا مشتى؟

فما بقي منهم إلا من وثب الضحك إلى شفتيه، وهمّ بقهقهة مجلجلة، ولكنه أمسك حرمة للوالي، وحياء منه، وقالوا له:

— ولكن يا مولانا، من يرضى أن يقيم في هذا المنفى ويسكن في جبل أجرد، لا ماء فيه ولا نبات، ويسافر كل يوم ساعة كاملة، ليصلي في الأموي، أو ليرد السوق؟

فأطرق الوالي يفكر ويجيل عقله الكبير وعزمه النافذ في كافّة الممكنات ليجعل من هذه السفوح القاحلة أجمل حيّ في أجمل مدينة، ويحيل هذه الرمال رياضاً تجري من تحتها الأنهار!

* * *

ثم انقطع الفلم ودار أبيض يحمل أياماً وسنين خالية لا شيء فيها ثم وضحت فيه صورة....

فاذا هو يرى حادثة كريد (اقريطش) حين غدرت أوربا — على عادتها دائماً — بالمسلمين، وشرّدت أهل الجزيرة من آمن منهم بالله واليوم الآخر بين سمع الأرض وبصرها، فدعا بهم ناظم باشا والي الشام وجمعهم وبنى لهم من أموال الدولة بيوتاً صغيرة متشابهة، متشابهة كمحطات القرى، ضيقة كغرف الخفراء، بناها على سفح قاسيون فكان لهم عصمة ومأوى، وكانت للحي الذي يحلم بذرة ونواة

* * *

ثم استدار الفلم وإذا دمشق خارجة تستقبل امبراطور ألمانيا وقد جاء يزورها زيارته المشهورة، ففرشت له الحكومة الحرير وأوطأته الديباج، فلم يطلب من ناظم باشا إلا أن يزيره الجبابين العظيمين والأثرين الخالدين: قاسيون، وقبر صلاح الدين! فانطلق العملة والبناءون يقيمون له على سفح قاسيون (المسطبة) التاريخية التي تدعى الى اليوم والى الغد (مسطبة الامبراطور) ويمهدون له الطريق الى مقبرة صلاح الدين في الكلاّسة

وهناك في أصل جدار الأموي الشامخ، وعلى هذه العتبة الواطئة وقف امبراطور ألمانيا، وأعظم ملوك العصر، مطأطئ الرأس خاشعاً خاضعاً، ثم ركع على ركبتيه، ثم سار جبواً حتى وصل الى جانب القبر، فوضع عليه اكليلاً من الزهر، وقال:

— هذه لك يا سيد أبطال العالم(1)

ثم أمّ قاسيون، فلما استوى على (المسطبة) ورأى هذا المنظر استخفه الطرب فصاح:

— ما على الأرض أجمل من دمشق! ما على الأرض أجمل من دمشق!

فصحت عزيمة الوالي على انشاء الحي، وبادر الى الأمر ببناء هذا (القصر الأبيض)

* * *

واستدار الفلم فرأى ناظم باشا قائماً في شرفة القصر، يتأمل في الوفود الذين أتوا ساحة القصر، ليكرموا الرجل الذي تغلبت ارادته الماضية على الصخر الأصم فخرقته، وعلى البعيد النائي فقربته، حتى تم مد القناة العظيمة من الفيجة الى دمشق لتسقي أهلها، وتسيل في هذا الحي الذي قام ليكون زينة دمشق وعروسها . . .

ورنّ في أذنيه صوت الخطيب وهو يقول للوالي:

« ... ... إن دمشق التي أحببتها وسقيتها وعمرتها، لن تنسى فضلك أبداً: ولن تحيد عن حبك وأكبارك، وسيظل منقوشاً على أفئدة أبنائها الى آخر الدهر هذان الاسمان العظيمان

(1) ذلك لأن الامبراطور الشاب كان رجلا، لا كذاك الجنرال الذي دخل دمشق محاربا، فأم القبرة من فوره، وولج شاهراً سيفه، مصعراً خده، حتى قرع بالسيف أعواد التابوت، وقال مهدداً الخشب ...

— نحن أحفاد جودفروا، فأين أحفادك يا صلاح الدين!

ولا كالجنرال الآخر الذي وقف في كنيسة القيامة بالقدس، وقال:

— الآن انتهت الحروب الصليبية، أنا آخر قائد صليبي!

اسما مصلحَيْ دمشق : مدحت باشا . وناظم باشا »

***

ثم انقطع (الفلم) وتبدد الحلم ، وأحس الشيخ بيد قوية تقبض على كتفه ، فعاد الى نفسه ورفع رأســه فاذا الجندى القائم على باب القصر ، يصيح به :

ماذا تصنع هنا أيها المتشرد ؟

ثم يكسعه ويضربه أم كيسان[1] ، فيقوم الشيخ ورأسه الى الأرض من غير أن ينطق بكلمة ...

عاد الشيخ أدراجـه يطوف الحى ، ويدخل من شارع الى شارع ، فلا يعرفه أحـد ولا يفتح له باب ، حتى اذا نال منه الجوع ، وبرح به التعب ، رأى زقاقاً ضيقاً فولجـه ، حتى اذا انتهى الى بيت حقير من بيوت المهاجرين الأولين ، وقف ينظر اليه ، وتبرق عيناه كأن مرآه يذكره بشيء ، ثم مد الى حلقـة الباب يداً مرتجفة فقرعه قرعة ضعيفة ، وابث ينتظر ؛ فلما لم يرد أحد عاد فقرعه وشـدد القرع ، وسكت فلم يسمع الا صدى أصوات الغناء والطرب تهبط عليه من أعالى الجـدران ، تهزأ بالفقراء ، وتسخر من الحياة ، فعاد يخبط خبطاً قوياً وينادى :

— كريتلى زاده ... كريتلى زاده محمد افندى ...

فتحركت عجوز من أقصى الدار ، وصاحت :

— من هذا الذى يسأل عن محمد افندى ؟

وخرجت تدبّ على عصاها حتى بلغت البـاب فنظرت فى الظلام وصاحت صيحة الفزع :

— من هذا الذى يسأل عن الرجل الذى مات منـذ خمس عشرة سنة

فلما سمع الشيخ ما تقول وجم ولم ينطق

— فأقبلت نحو الضوء ، حتى إذا اقتربت من الرجل رجعت تصيح بصوت مرعب :

— من أنت ؟ قل لى من أنت أيها الرجل ؟ ماذا تريد ؟

— قال : أنا يا حاجة صفية ، أنا ؟

— من أنت ؟ تعال ، تعال إلى النور حتى أراك ، فلما رأته واستبانته ، صاحت :

— آه

— قال : هل عرفتنى ؟

— قالت : آه كيف لا أعرفك يا سيدى ، ولـكن ... كلا كلا . أنا واهمة ، هذا مستحيل . قل لى حالاً من أنت ؟

— أنا ناظم ... ذاك الذى كان يدعى يوماً ما ناظم باشا ، ذاك الذى كان والى الشام ... ألا تذكرين يا صفية كيف كنت تلعبين فى رحبة القصر وأنت صبية صـغيرة ؟ وكيف كنت تتسلقين الأشجار وتطاردين الغزال الذى كان فى الحديقة ؟ هل تذكرين ؟... حتى إذا مللت وتعبت عدت مع أبيك محمد افندى الى الدار

— آه يا مولاى آه ! اذن أنت هو ! لم أكن مخطئة . قل لى يا سيدى أين أنت ؟ وما جاء بك ؟ لا لا أدخل أولا ! أهلاً وسهلاً ، ليس عندى شيء أقدمه اليك ، ليس عندى شيء

وانطلقت تبكى ...

— إننى عجوز فقيرة ليس لها الا الله ، لم يعد يسأل عنا أحد بعدك . اننى سأموت فقيرة تحت أثقال ذهب الجيران ، وأختنق جائعة برائحة اللحم . ان هذه القصور ستبتلع كوخى الذى لم يبق غيره . . .

وألحت فى البكاء ...

اننى لا أستطيع أن أصنع لك شيئاً ، آه ليتنى مت قبـل أن أراك يا مولاى على هذه الحال

فسح الباشا دموعه ، وقال لها :

— ولـكنى لا أحتاج شيئاً . أنا فى نعمة ، وإنما جئت أزورك . والآن وداعاً ...

فلما ابتعد فتش جيوبه ، وقلبها كلها ، فلم يجد إلا فرنكين كان يدخرها لعشائه فدفعهما اليها ، ومشى قبـل أن يسمع ما تقول :

عاد يطوف فى الحىّ يخرج من شارع الى شارع منفرداً منكراً ، ولقد فارق دمشق وهو ربها وسيدها ، وصاحب الأمر والنهى فيها ، ولـكن هذه الأعوام التى كرّت سريعـة محملة بالاحداث الجسام قد بدّلت كل شيء

لقد انفجر بركان الحرب ، فهدّ هـذا الفلك العظيم ، فلك الخلافة الاسلامية ، فتناثرت نجومه وكواكبه ، وانطفأت شمسه وأظلمت نيّراته ، وعبست مكة للقسطنطينية وبسمت للنـدن ، وصافحت الحلفاء ، وقابحت الخلفاء ، وولد استقلال سورية فى القصر المنيف على بردى ، ومات طفلاً فى الصحراء القاحـلة من

(١) كسعه وضربه أم كيسان ، هو أن يضربه بقدمه على مقعدته

ميسلون ، وكان الانتداب وكانت لياليه الحالكات

وذهب جيل من الناس كان يعرف الباشا حق المعرفة ، وجاء جيل جديد ينكره أشدّ الانكار

فنفض الباشا يده من كل شيء ، وانحدر إلى الشارع الأعظم على سفح الجبل ، فجلس على حجر قبالة القصر الذي بناه ، وكان صاحبه ومولاه ، فطرد الليلة عنه كما تطرد الكلاب . وأسلم رأسه إلى كفيه ، وراح يفكر في غير شيء ...

فما نبهه من ذهوله إلا ولد يقفز بقبقابه على بلاط الشارع ، فاستوقفه يسأله :

— ما اسم هذا الشارع يا ولد ؟

فارتاع الولد وفرّ ، حتى إذا ظنّ أنه قد فاته ، صاح به :

— ألا تقرأ اللوحة يا أعمى ؟ هذا شارع ناظم باشا

فابتسم الباشا ابتسامة صفراء وعاد الى صمته ، وهبت الرياح فلم تلبث أن أنشأت سحابا حجب القمر ، فشمل الشارع ظلام رهيب

ومرّ رجل فألقى على الباشا نظرة واحدة ، ثم سار في طريقه ينحدر في طريق البساتين ، حتى إذا ابتعد عن العمران رفع عقيرته يتغنى بصوت شجي محزن :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر

وناظم باشا يصغي اليه ، وقد هاج في نفسه عواطف هائلة كادت تنسف كيانه نسفاً ، حتى ابتعد الصوت ونأى ، ثم ابتلعه السكون

فقام ناظم باشا يجرّ رجله ليغادر دمشق التي نسيت احسان المحسن ، كما تنسى (دائماً) إساءة المسيء ، ليذهب فيموت حيث لا يعلم به إلا الله

واشتدت الرياح وصفرت صفيراً مرعباً ، وهطل البرد مجنونا ثائراً ، بينما كان يسدل الستار الأخير على هذه المأساة ...[1]

علي الطنطاوي

(١) قدم ناظم باشا خير ولاة العثمانيين بعد مدحت باشا ، وأكثرهم في دمشق إصلاحا ، وأعظمهم مآثر باقيات ، قدمها منذ سبع سنين فقيراً محتاجاً ، فلم يحفل به أحد ، فغادرها رحمه الله تعالى يائساً حزيناً !

مأساة من سوفوكليس

٣ ـ أنتيـــجونى

للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

ويرسل الخورس أغنية عن الحب ، وعن خضوع الآلهة والعباد لسلطانه على السواء

تدخل أنتيجونى وحولها حرس

— « سلام عليكم يا رعايا أبي وأمناء مملكته ! شعاعة واحدة يا هكيوز[1] الكريم أتزود بها لرحلتي إلى الدار الآخرة فتنير لي ظلمات طريقي ! إنها تكفل لي أن أذهب إلى هيدز والحياة تدب في قلبي ! أوه ! ألا يتنفس لي فجر حلو بعد اليوم ؟ وقداسي وأفراح عرسي ؟ ألا تملأ أهازيجها سمعي ؟ وهايمون ! ! آه يا حبيبي هايمون ! ! أشيرون[2] وحده سيكون زوجي ... لا أنت يا هايمون الحبيب ... فوق شطئان نهره الفائض بالحمم ! »

الخورس : « أجل يا بُنية ! لكنك تذهبين ثمة لا كما يذهب الموتى ، بل تذهبين وفي قلبك الحياة تنبض وتنبض ... وتذهبين باختيارك لا برغمك ، لأن سيفاً لا يغمد في أحشائك ، ولأن مرضاً لم يلم بك ولم يسلمك للردى ! »

أنتيجونى : « هيه ! ... لي أسوة بابنة تنتالوس[3] ، وستهبني الآلهة نعاسا فلا أحس شيئاً »

الخورس : « ولكنها ربة وابنة إله عظيم ! »

— « ويحكم يا رعايا أبي ! أتستخفون بي حتى في طريقي إلى هيدز ؟ ألا يروعكم ذهابي إلى القبو المظلم الذي حُوِّل من أجلي إلى مقبرة أحياء ... أتجرع فيه غصص الردى قطرة فقطرة ! ! يا لها من موتة ! ألا من لشبابك يا أنتيجونى ؟ ! »

— « تجلدي يا فتاة ! إن جدود أبيك العواثر تكتسحك في طريقها ! ! »

(١) اسم من أسماء أبوللو إله الشمس

(٢) إله نهر من أنهار الجحيم

(٣) نيوب التي أسخطت أبوللو وديانا فقتلا أبناءها ولما استنجدت بالآلهة حولتها إلى صخرة فوق قمة جبل وفي حضنها ابنها الأخير الذي تحجر معها

— « أوه ! إنكم تؤلمونني يا قوم ! جـدوده العواثر ! ما كان أتعسها من زيجة تلك التي كشفت سرها أمي ! ! ويا لقساوتها أبوة تلك التي ابتلى بها أبي ! أما أنت يا أخي ... فما كان أتعسها من زيجة كذلك تلك التي أشقيت بها نفسك وجررت بها الموت عليك وعلى ! ...

— « لا ريب أنك صنعت جميلاً يا بنية (بدفنك جثته) ، ولـكن ما العمل فيمن يأبى إلا أن يظهر سلطانه ويدل بجبروته !

— « ويلاه ! أأساق إلى الموت غير مبكية ... وفي يوم عرسي ؟ الشموع ! أين الشموع التي كانت تضيء لي تحية ليل وسلام إمساء ؟ ألا يذرف أحد عبرة من أجلي ؟ !

« يدخل كريون »

— » ما تزال هنا ؟ هلموا بها الى القبو المظلم ... ! هلموا ! لتساقط نفسها أنفساً ! لتـذب روحها ولتهو الى الحضيض قطرة فقطرة ! هي الجانية على نفسها ... لم يجن عليها أحد ! لتذق وبال أمرها في ظلمات السفل ؟

— « القبو ! مرحباً بالقبو والقبر معاً !! لتكن يا قبو غرفة عرسي ! يامقبرة الأحياء مرحباً مرحباً ! في جوار پرسفونيه[1] الجميلة التاعسة سأقضي حياة حدودها الأبد ! ألا كم من حسناء حوراء ضمها الموت الى سرب پرسفونيه ! لم لا أنضم الى السرب زهرة اختضرها الموت قبل أن تفتح !! لم لا أطوى تلك المرحلة الأخيرة من هذه الحياة المفعمة بالآلام والمظالم لألتقي أبي ... وأمي وأخوى ... في هيدز ! وأنت خاصة يا پولينيسيز سألقاك وسأعانقك وستبتسم لي ... أما أختك ... التي ضحت بشبابها الفينان من أجلك ! ألا من للانسان بعد أمه وأبيه وأخيـه (الذى مثل پولينيسيز) ! الابن إذا قضى فقـد يجيء ابن غيره . . . ولـكن الأب ... ومثله الأم ... لا عوض عنهما إن غالها الردى ! أما أخي ! فسامح الله كريون الذى يأبى إلا أن يأخـذني بمحبتي له وفدائي من أجـله ! آه يا أخي ! انفض أطباق الثرى قليلاً وانظر الى ! أنظر الى مسوقة الى حتفي مصفـدة بالأغلال ، مسلوكة في القيود ... الى القبو المظلم الذى لاتؤنسني فيه غير أشباح الموت . أواه يا آلهة السموات ! من نصيري وقد جد بي الجد ؟ إن كنت قد أجرمت فعلى إجرامي... ولـكن هؤلاء ! ! هؤلاء الذين داسوا شرائعـكم أيها الآلهة ! خذوهم بظلمهم ، وابتلوهم بضعف الحياة الدنيا والآخرة أولئك المجرمون !... »

رئيس الخورس : « العاصفة تشتد في نفس الفتاة ! وما تزيدها الآلام إلا اصطخاباً ! »

كريون : « وكل من يلوذ بها أو ينافح عنها قد يشجى شجوها ! »

أنتيجوني : « وا حرباً ! إني أسمع دبيب المنايا في هذه الـكلمات ! »

كريون : « وهل بقي في ذلك ريب ؟ »

— « يا طيبة يا أرض المجد ! يا مهد الجدود ! يا هيكل الآلهة الأطهار ! وداعا ! ! إلى هيدز ، سأذهب الى هيدز ! أنا أنتيجوني آخر فنن من أفنان دوحة قدموس ولايوس ! الى هيدز ! قرباناً لك يا آلهة ، وفي سبيل شرائعك يا سماء ! ... »

« تخرج ومن حولها الحرس »

— ١٠ —

ويرثي الخورس للفتاة البائسة الشقية ، ويرسلون وراءها لحناً بائساً شقياً

(يدخل تيريزياس الـكاهن الأعمى يقوده ولد)

— « هيه ! سلام على سادات طيبة ! لقد وصلنا والسلام ! »

الملك : « وماذا جاء بك يا تيريزياس ؟ »

— « سأنبئك ... إ ... إن أصغيت لي »

— « مرحباً بك ياكاهن طيبـة ! وهل يأبى أن يسمع لك أحد ؟ »

— « شكراً ! إنك بمثل هذه المهارة قدت السفينة إلى بر الأمان ! »

— « الفضل في ذلك لتجاريب الزمان يا تيريزياس ! »

— « هذا حق ! ولـكن ... برغم ذلك ينبغي أن تحترس ! إنك على شفا جُرُف هار ! ! »

— « وأي شفا جرف يا تيريزياس ؟ إنك تزعجني ! »

— « إي وايم الحق ! نبوءاتي ! سأقص عليك نبوءاتي التي استوحيتها اليوم ! لقـد تنزل على منها قدر عظيم أيها الملك ! وليس يتنزل على منها إلا الحق حين أستوى على كرسي كهانتي ! طيور ! ... بوائق جارحة ... كانت تحلق فوق معبدي ! لقد ظلت تضرب الهواء بخوافيها ... وكانت ترسل في السماء أصواتاً مزعجة كقصف الرعود ... ! قمت إلى المذبح وضرمت

(١) ابنة ربة الربيع . اختطفها بلوتو إله الموتى لتـكون زوجتـه في هيدز وقد نشرت الرسالة أسطورتها في السنة الثالثة

النيران ... وا أسفاه ! لقد رفض إلـه النار أن يقبل منها قبسا ! وتناثر القربان ! وانطلق الشرر فى سماء الهيكل ! وكنى بذلك نذير سوء أيها الملك ! لقد شهد ذلك غلامى هذا ، وأنا أشهد به أمامكم الآن ! الدمار يكاد يقضى على طيبة بسببكم يا مولاى ! إن الآلهة قد تكلمت بألسن النسور والبزاة التى اغتذت بلحم ابن أوديبوس المسكين ! من أجل ذلك رفضت قرابيننا أيها الملك ، وقذفت بها فى وجوهنا ! والآن ! خذ حذرك يا بنى ! كلنا بنو الموتى ! وكل بنى الموتى يخطئون ! وما تزال فى الوقت فسحة لمعالجة هذا الخطأ ! الحمق فقط هم أهل العناد والاستبداد بالرأى ! مالنا وللموتى ؟ إن أمرهم الى الآلهة ، وليس يفيدنا أن نمثل بالقتلى وقد فرغ حسابنا معهم ! ألا قد بلغت ! فاسمع وع ... واشهدى يا سماء ! »

— « لم يبق الا الكهنه أمثالك فأكون غرضا لسهامهم يا تيريزياس ! أنت تحاول عبثاً ! ... لن يدفن مهما حاولت ! ولـكن ... آه ! الذهب ! قاتل الله الذهب ولو انصب فى يديك من منجم ! الآلهة ؟ ها ... لترسل الآلهة نسرها الباشق فليغتذ هو الآخر به ! »

— « وى ! أين الحكمة اذن ؟ ألا من يتعظ !

— « من ؟ ... أى شك ؟ »

— « كنوز الذهب الأبريز موعظة حسنة ورأى سديد ! »

— « والجهالة آفة الآفات ! »

— « أجل ... الجهالة طاعون كاد يرديك ! »

— وبعد ؟ ... أوثر ألا أبادل الكاهن ضربة بضربة !

— « وأى ضربة لازب أشد على من أن تحمقنى ؟ ! »

— « بل الذهب هو طاعون الكهنة ! ! »

— « والربح الخسيس هو آفة الملوك ؟ »

— « طاش صوابك إذن حين تخاطب مليكك بمثل هذا ؟ »

— « أجل ! وإلا ساعدتك فى تعجيل الخراب لهذا البلد ؟ »

— « نظرك بعيد أيها الأب ! ولـكنك غير أمين ولا وفى مع هذا ؟ »

— « ستندم لأنك لم تر أن تسمع الى نصيحتى ! »

— « هيه ... تكلم ... إهرف ... فلن تنال منى ربحاً ؟ »

— « ومنك تحسبنى ألتمس الربح وأنشد الغنم ؟ »

— « لن تربح تجارتك معى أيها الكاهن ! »

— « آه ! إن دمك فقط كفيل بأن يغسل وزريك العظيمين دفنك فتاة حية لتموت من غير ذنب فى قبو مظلم ... وتركك قتيلاً فى التربة تنوشه السباع من دون أن تقام له شعائر الدين أو تؤدى من أجله مراسيم الآلهة ! هذا تصرف مخز لن تقبله آلهة هيدز ولا من أرباب الأولمب ! ويل لك ؟ إن أرباب النقمة تتربص بك ، وربات الذعر تكاد تنقض عليك ! ولن يأخذنك الا بعملك ولا يجازينك الا بوحشيتك ! أنا جئت اليك ألتمس رفداً ؟ يا لخبائثك ! ستعلم عما قريب ! سينقض هذا القصر فوق رأسك ليقول لك : لا ! لا ! وسترن فى أذنك أصوات الصراخ والعويل والندبة من أجل موتى كثيرين ، أعزاء عليك ... وسترى ! ياغلام ! هلم ! لننطلق من هنا ! وسيأتيه اليقين فيثوب الى رشده ويطهر لسانه ! »

« يخرج الكاهن يقوده الولد »

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الدكتور ا . وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن وتعريب الدكتور أبو العلا عفيفى مدرس الفلسفة بكلية الآداب ، وهى الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، وقد لخص فيها المؤلف أمهات المسائل الفلسفية والطرق المختلفة التى عالج بها العلماء حل هذه المسائل ، ثم ذكر أهم اتجاهات الفلسفة الحديثة ، وذكر عدداً من الفلاسفة المحدثين الذين يمثلون كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، وقد بلغ عدد الفلاسفة الذين كتب عنهم تسعة وثلاثين تتمثل فيهم النزعات الفلسفية والعلمية فى كل نواحيها

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً كطبعات الرسائل السابقة بمطبعة اللجنة ويقع فى ٢٤٩ صفحة ، وفى نهايته قائمة بالمصطلحات الفلسفية الواردة فى الكتاب ومرادفاتها العربية وثمنه ستون مليما ، ويطلب من مركز اللجنة « ٩ شارع الكردامى بعابدين — مصر » ، ومن المكاتب الشهيرة

البريد الأدبي

أسبوع المتنبي في دمشق

في الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس الماضي ، ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٦ افتتح مهرجان المتنبي في مدرج الجامعة السورية بحضور فخامة رئيس الجمهورية ووكيل المفوض السامي ميريه ودولة رئيس الوزراء ومندوب المفوض السامي ووزيري العدلية والاقتصاد الوطني ، فافتتحت الحفلة بآي من القرآن الكريم ، ثم ألقى وكيل المفوض السامي خطبة وجيزة ضمنها عطف المفوضية العليا على هذه الحفلة وشعورها مع اللجنة القائمة بها ومع الأمة العربية جمعاء في احتفالها بمرور ألف سنة على وفاة سيد شعرائها بلا منازع وتتابع بعده الخطباء فألقى رئيس الوزراء كلمة وزارة المعارف ، وألقى السيد الطباطبائي أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة الأمريكية قصيدة شاعر الفرس خسرو داراني ، ثم تكلم أحد المستشرقين عوضاً عن المستشرق الأستاذ بلاشير الذي تأخر وصول كلمته

ونهض بعده الأستاذ أحمد أمين مندوب الجامعة المصرية فألقى خطبة قيمة جاء فيها على ذكر ناحية واحدة من نواحي حياة المتنبي مستدلاً على أخلاقه من آثاره وأخيراً اقترح الأستاذ عبد المنعم رياض وضع جائزة سنوية شبيهة بجائزة نوبل تعطى للمبرزين من الأدباء والشعراء

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة — أمس — احتفل أمام بناية المعرض بإزاحة الستار عن نصب أقيم في الزاوية الغربية من الجدار المحيط بالبناء وقد نقش عليها عبارة « شارع المتنبي » وقد افتتح الحفلة محافظ العاصمة بخطبة وجيزة شرح فيها الغاية منها ، وعقبه الأستاذ عز الدين علم الدين سكرتير لجنة المهرجان بكلمة شكر فيها لمحافظة المدينة اهتمامها بإطلاق أسماء رجال الأمة العربية الخالدين على شوارع المدينة وأعلن أن هناك شوارع جديدة سوف تطلق عليها أسماء العظماء كأبي العلاء المعري والبحتري وغيرهما

وفي مساء اليوم نفسه غص مدرج الجامعة السورية بالمحتفلين وخطب الأساتذة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مندوب الجامع الأزهر ، وألقيت كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقصيدة للأستاذ خليل مردم بك ثم خطب الدكتور عبد الوهاب عزام فالأستاذ نجيب الارمنازي وانصرف الخطباء والمندوبون بعد ذلك لتناول طعام العشاء على مائدة أعدها المجمع العلمي

وعلى المنهاج الموضوع للمهرجان سيلقى في اليوم الثالث (السبت) كلمة الأستاذ معروف الرصافي مندوب العراق وقصيدة الأستاذ رضا الشبيبي (ذكرى شاعر) وقصيدة الأستاذ علي الشرق (صوت الكوفة) وخطبة الأستاذ طه الراوي . قصيدة الأستاذ عز الدين التنوخي كاتب سر المهرجان . ولمية الصحة العامة

اليوم الرابع (الأحد) — خطبة الأستاذ نقولا فياض : مندوب لبنان (هل كان المتنبي مجدداً) . خطبة الأستاذ أنيس المقدسي مندوب الجامعة الأمريكية . خطبة الأستاذ أمين الريحاني (المتنبي رسول العروبة) خطبة الأستاذ فؤاد البستاني مندوب الجامعة اليسوعية . قصيدة الأستاذ حليم دموس (مهرجان المتنبي) ولمية وزارة المعارف

اليوم الخامس (الاثنين) — خطبة الأستاذ أحمد رضا (روح الطموح في المتنبي) قصيدة الأستاذ سليمان ظاهر (حياة المتنبي) خطبة الأستاذ حبيب شماس مندوب المدرسة البطريركية . خطبة الأستاذ أديب التقي . قصيدة الآنسة ماري عجمي ، ولمية الجامعة السورية

اليوم السادس (الثلاثاء) — خطبة الأستاذ خليل الخالدي ، خطبة الأستاذ سامي الكيالي (المتنبي في بلاط سيف الدولة) خطبة الأستاذ عبد القادر المبارك (لغة المتنبي) . قصيدة الأستاذ محمد البزم ، ولمية معرض دمشق

اليوم السابع — كلمة الأستاذ مرشد خاطر : مندوب الجامعة السورية . قصيدة الأستاذ عمر يحيى . خطبة الأستاذ سليم الجندي ، قصيدة الأستاذ عمر أبي ريشه خطبة الأستاذ جميل صليبا (فلسفة المتنبي) كلمة الختام ، ولمية مدينة دمشق

خطاب وكيل العميد السامي في مهرجان المتنبي

سيداتي وسادتي :

إذا ذكر المتنبي فلا يثير ذكره في قلبنا صورة أعظم عصر من عصور تاريخ حلب ، وصورة أمجاد سورية الحمدانية فحسب ، وإن يكن ذلك من الأسباب التي تحببه إلى نفوسنا ، فلا بد لنا من القول أن المتنبي لا ينتمي إلى مدينة واحدة ولا إلى عصر واحد ، بل انه بدوي صداه في خلال عصور الشعر العربي وخلال نواحي الشعور الأدبي المترامية الأطراف ، فقد ذهب شاعر الكوفة العالم العربي نماذج من الشعر خالدة ، وضروباً من التعبير صافية ورفعة لا تطال ، وفناً أنوفاً دقيقاً ، وهدفاً شريفاً ، وتشاؤماً عالياً ؛ وجميع هذه الصفات المتغلغلة في أعماق نفسه تتفق مع أعرق مميزات الفكرة الأدبية العربية ، تلك الفكرة الطامحة إلى المعالي ، الهائمة بالشرف ، المغرمة بما عز وكرم من المعاني ، الساعية وراء خير المثل العليا ، تلك الفكرة التي تطلب في الشعر « حالة نادرة » كما قال في ذلك شاعرنا الفرنسي (مالارمه)

هذا ما أهل المتنبي أن يكون شاعر الأمة العربية ؛ وهذا ما حدا بكم جميعاً للاعتراف له بهذا اللقب . إن الأمة العربية ترى في المتنبي بعض ميولها الجوهرية ، وبعض شواعرها الثابتة ، فيلذ لي والحالة هذه أن أحيي في هذا الحفل ، إلى جانب السلطات العليا ورجال العلم في سوريا ، ممثلي الدول المجاورة ، والشعراء والكتاب والعلماء من جميع البلدان التي يرن فيها صوت لغتكم الجميلة ، وأن أحيي مندوبي المجامع العلمية ومؤسسات الثقافة العالية التي تحافظ في جميع البلاد الغربية على تقاليدها الروحية المشتركة ، ولهذا أيضاً رغبت في أن أرحب بكم ، وفي أن أحمل اليكم في هذا المهرجان حيث للفكرة والأدب المحل الأرفع ، عربون عطف المفوضية العليا على هذا المهرجان واهتمامها به ، وكذلك عطف حكومة الجمهورية الفرنسوية ؛ من يشك في الفائدة التي تجنى من هذه الاحتفالات ، إنها توثق عرى التضامن المكين ، والتقارب الجوهري ؛ وتدل على أن فوق المصالح الأنانية التي تفرق بين الناس وتبعدهم بعضهم عن بعض عبقرية لا يزال في وسعها أن تجمع بين ذوي النوايا السليمة جميعاً خلوا من كل ما يكدر صفاءه

سيداتي وسادتي : إني لأجد لذة عظيمة في اعلان افتتاح المهرجان الذي يحتفل فيه بذكرى مرور ألف سنة على وفاة الشاعر المتنبي

خطاب وزارة المعارف في مهرجان المتنبي

أرحب بجميع الوفود التي جاءت من مختلف الأقطار العربية لتشارك حكومتنا في إظهار عاطفتنا الصادقة نحو شاعر العربية العظيم أبي الطيب المتنبي وأعني لجميع العلماء والكتاب والشعراء الذين أموا دمشق لهذه الغاية مقاماً سعيداً وراحة طيبة ، ولا شك أن جو الفيحاء الرطب وإقليم الغوطة العذب سيوحيان الى كل منهم بأحسن الصور ، ويرويان ما احتدم في قلوبهم من قوة العاطفة وشدة الخيال فيسكبون عواطفهم في قالب من الألفاظ السحرية التي تليق بالمتنبي وعبقريته الخالدة . إن فكرة هذا المهرجان ليست وليدة الساعة بل هي فكرة قديمة خطرت ببال حكومتنا منذ الصيف الماضي فحالت دون تحقيقها إذ ذاك عقبات كثيرة ؛ ولما ذللت جميع العقبات أحبت الحكومة أن تجعل أيام المتنبي داخل أيام المعرض الصناعي لتبرهن بعملها هذا على رغبتها في إحياء النهضتين الأدبية والاجتماعية معاً

ونحن إذا أقمنا هذا المهرجان لمرور ألف عام على وفاة المتنبي فانما نقيمه لأن بينه وبين سوريا صلة قوية . فقد جاء المتنبي من العراق الى سورية وهو شاب معدم فعانى فيها ما يعانيه شبان اليوم من مشاكل العيش وضيق أبواب الرزق ولم يزل يتنقل بين منبج وانطاكية واللاذقية وطرابلس وحلب ويمدح أمراء سوريا حتى اتصل بسيف الدولة أعظم ملوك بني حمدان وصار شاعره الخاص وعاش في بلاطه فانكشفت قريحته وجاد شعره وتحسن خياله ورق لفظه بما لقيه من حفاوة الأمير وعنايته به ، ولو بعث اليوم سيف الدولة لما اتخذ لنفسه شاعراً غير المتنبي لأن المتنبي لا يزال حتى اليوم يعبر بشعره عن عواطف كل منا ، فهو شاعر العروبة ورمز العواطف القومية ، يجد كل منا في شعره مايعبر به عن جميع صور الحياة سياسية كانت أو اجتماعية أو خلقية فقد جمع في شعره نزوة الشيوخ وصور العدل والرحمة كما وصف الظلم والقسوة وتغنى بالآباء والكرم والعز والشجاعة كما بكى على المجد المفقود والأمل الضائع ، فنحن نفاخر بشاعر أمراء سوريا بل بشاعر سوريا والعراق ومصر وننقل اليه من وراء حجب الزمان عاطفة شعب تثقف بشعره وتغذى باحساسه حتى خالط لحمه ودمه

فان تباعدت الأقطار فانها حول المتنبي لتجتمع ، وان نفرت القلوب فانها في أبي الطيب لتتحد ، وليس أدل على هذه الوحدة من اجتماعكم لاحياء ذكرى هذا الشاعر الخالد . فأشكركم جميعاً

على ما تحملتموه من المتاعب وتحملتموه من عناء السفر وأشكر فخامة رئيس الجمهورية على رغبته في جعل هذا الاحتفال احتفالاً رسمياً كما أشكر بصورة خاصة فخامة المفوض السامي على عنايته بهذا المهرجان واعانته المادية والمعنوية معاً ، وأشكر ممثلي الجامعات العربية والأجنبية المختلفة ووفود الأقطار العربية الشقيقة وجميع الخطباء والشعراء على ما أكسبوه إيانا من الشرف بكتاباتهم وما أحدثوه في هذا المهرجان من البهاء والازدهار بقدومهم وأخص أعضاء مجمعنا العلمي من عرب ومستعربين بأحر الشكر على تعاونهم في إحياء ذكرى شاعر العربية ورمز نهضتها الأدبية الحديثة وأتمنى لهم نجاح السعي وطيب الاقامة والسلام

جمعية أدبية مختلطة في سورية ولبنان

دعت الجريدتان الفرنسيتان (الجور) في بيروت ، و(لاكرونيك) في دمشق إلى تأليف جمعية أدبية كبرى في البلاد السورية واللبنانية يكون الغرض منها : السعي والدعاية لنشر الأدب والثقافة في البلاد ، ثم الدفاع بمختلف الوسائل المشروعة عن حقوق المؤلفين ومصالحهم ، وهذه الجمعية بعيدة عن الأحزاب السياسية والخلافات الدينية ، تجمع نخبة من الكتاب السوريين واللبنانيين الذين يسعون إلى نهضة فكرية في البلاد ، تجدد في الأدب الحديث مع العناية بالأدب القديم

وهي تتألف من الكتاب والمؤلفين في اللغة العربية أو في اللغة الفرنسية

وتنتخب مجلساً يتألف من عشرة أعضاء ستة من المؤلفين

هذا المجلس مؤلف عربي له نائب من المؤلفين في اللغة الفرنسية

وتنتخب مكتباً دائماً لأمانة السر ، ومكتباً للاستشارات القضائية الحقوقية ، وتتصل بالاتحاد الدولي لجمعيات حملة الأقلام في جنيف ، وتعنى بغير ذلك من الأمور لتأمين سير الجمعية ورقيها

فلسطين تناشد العالم الانساني

إن الأيام المائة التي مرت على جهاد فلسطين العربية المقدسة وما لقيت في خلالها من هول الاحداث قد أصابها بأضرار فادحة وأنزل بها خسائر جسيمة في الأرواح والأموال مما لا يمكن حصره ولا تعويض خسارته ، فهنالك عشرات من القرى قد دمرت وأتلفت أرزاقها وأحرقت مزروعاتها وصودرت أموالها ، وهذا غير ما أحدثه نسف مدينة يافا الفيحاء ذات الحدائق الغناء بالديناميت بعد إحراق معظم حي المنشية فيها بأيدي مجرمي اليهود ، وغير حدائق البرتقال الكثيرة التي قطعت بأيدي الأشرار ودوساً بالدبابات وغير المئات من أكواخ الفقراء في ضواحي يافا وأطراف حيفا ، ومنازل مدينة اللد التي دوهمت بالدبابات فانطمست آثارها

فهذه الأهوال العظيمة قد أسفرت عن مائة ألف نسمة نكبوا بصورة مباشرة فمنها عائلات الشهداء وأيتامهم وأراملهم ، وعائلات المسجونين والمعتقلين وأقاربهم ، وسكان المدن والقرى التي دمرت بعد أن فروا عند النسف والهدم من منازلهم ، تاركين جميع حاجاتهم وأثاثهم وملابسهم ، فتشردوا في العراء بلا فراش ولا طعام ولا مأوى . وقد كثرت في هؤلاء المنكوبين الأمراض والوفيات . ولولا أن بقية الأهالي قد قادوا وبذلوا كل شيء يستطيعونه لاغاثة إخوانهم بعض الغوث — وهو مما لا يفي بحاجة ولا يسد ثلمة — لكانت الكارثة أوجع والخطب أفجع

على أن الحالة برغم شهامة الناس هناك قد تجاوزت كل ما يتصور العقل من شناعة وفظاعة مما ستكشفه الأيام بعد حين وعندما يباح نشر الرسوم ووصف الخطوب

وسيتضح عند ذلك أن ما نزل بفلسطين إنما هو من النوع الذي أصاب البلاد العربية على الخصوص والاسلامية على العموم من جنكيز وهولاكو وتيمور . ويا حبذا لو تنتدب الأقطار المجاورة وفوداً تجوب نواحيها لترى بالعين وتسمع بالأذن ما أصابها وما حل بها . حيث لا تقع العين إلا على قتيل أو شهيد . ولا يصادف المرء في طريقه سوى الخراب والدمار في المدن والريف

الأليمة عواطف الانسانية جمعاء ، وتنادي كل قلب فيه ذرة من الحمية ليبادر المحسنون إلى نجدة المنكوبين وإغاثة الملهوفين بما يخفف هول النكبة ويلطف ألم البلوى . والله لا يضيع أجر المحسنين

وهذه اللجنة ترجو من أهل الخير أن يرسلوا تبرعاتهم إلى منكوبي فلسطين بواسطة جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وهي تتولى توصيلها إلى الهيئة المختصة في فلسطين فتوزعه على المحتاجين

محمد علي الطاهر

رئيس اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة

استدراك

جاء في أول هذا الباب تحت عنوان « أسبوع المتنبي في دمشق » أن افتتاح المهرجان كان في يوم ٢٧ يوليو الماضي والصحيح أنه كان في يوم ٢٣ يوليو

فتوى مشيخة الأزهر فى (الحجاب) و (الختان)

نص الفتوى :

« كتب الينا من البلاد الهندية أن طوائف من أهلها الهندوكيين يريدون أن يتخذوا الاسلام ديناً لهم ، ولكن عادتى حجاب النساء والختان تثبطانهم عنه بعض التثبيط . وقد طلب الينا أن نبدى رأينا فى هاتين العادتين وعن مبلغ علاقتهما بالدين الاسلامى ، فلم نر بداً من تلبية هذا الطلب راجين أن يكون فيه هدى للمسترشدين وبيان للمتثبتين

***

شرع الله تعالى الدين الاسلامى ليكون ديناً عاماً للبشر كافة فى كل زمان ومكان ، فجاءت شريعته مراعية لجميع الحاجات المادية والمرافق العمرانية للأفراد والجماعات ، وضامنة كل ضروب الحريات الضرورية لهم فى حدود الناموس الأدبى العام ، بحيث لا تتماكس هذه الحريات ومصالح الاجتماع ، ولا تتضارب والأخلاق التى هى أساس العمران . فليس يوجد بين النظم الدينية والاجتماعية ما يوفق بين مطالب الأرواح والأجساد ويربطها برباط وحدة وثيقة غير النظام الذى جاء به الاسلام

لست بصدد تفصيل هذا الاجمال ، فلا أتعرض له إلا لبيان أمرين فيه هما مسألتا الحجاب والختان ، وهما اللتان طلب الينا بيانهما

الحجاب

إن حجاب النساء كان معروفاً ومعمولاً به قبل مجىء الاسلام بقرون كثيرة فى جمع الأمم المعرقة فى المدنية ، وقد أخذه عنهم اليونانيون والرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة ، وكان الاسرائيليون جارين عليه أيضاً على عادة معاصريهم

فلما شرع الله الاسلام راعى فى هذه المسألة ما راعاه فى جميع المسائل الاجتماعية من الاعتداد بالمصلحة العامة فى حدود الناموس الأدبى العام فأنزل قوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى إخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

هذه الآية هى أطول آيات الحجاب ، وهى تنص على وجوب اتباع الجنسين على السواء للآداب الواجبة لأحدهما حيال الآخر

ولما كان النساء محلا للفتنة خصوا بالأمر لضرورة التصون فى مخالطة الرجال وعدم إبداء زينتهن لهم إلا مالا يمكن اخفاؤه منها أثناء مزاولتهن أعمالهن من خاتم وسوار

وقد أجمع الأئمة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالها خارج بيتها ، وأن تمارس مهناً لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها وجيدها وزينتها

وما حدا بالاسلام إلى وضع هذه القيود إلا المحافظة على النفوس أن تفسدها الشهوات . والمجتمعات أن تحل روابطها الموبقات . وليس بخاف ما جرته هذه الشهوات على الأمم الخالية من الانحلال والزوال

فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ؛ ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة فى الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من ابداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف فى أموالها بكل وجوه التصرفات بدون توقف نفاذها على زوجها أو والدها أو أى أحد غيرهما ، وأن تتعاطى ما تشاء من الأعمال الحرة

هذه حقوق منحتها الديانة الاسلامية للمرأة منذ نحو أربعة عشر قرناً ، فلم تصل إليها أية امرأة سواها فى العالم إلى اليوم

والاسلام ازاء هذا كله لم يشرط عليها إلا حفظ كرامتها كامرأة شريفة غير متبذلة ولا متبرجة لتكون عضواً صالحا فى المجتمع بدل أن تكون عاملة فتنة فيه

هذه نزعة تقر الاسلام عليها كل نفس شريفة ، ولا تصادف معارضة من أى فريق حتى أصحاب المذاهب المتطرفة

الختان

أما مسألة الختان — فلا تصح أن تكون عقبة أمام الذين يريدون الاسلام ، فان الختان كان معروفا عند بنى إسرائيل قبل مجىء الاسلام ، وقد اقتبسه عنهم العرب الجاهليون . فلما جاء

الاسلام أقره شأنه إزاء كل عادة نافعة أو عمل صالح

وقد قرر الأطباء أن الختان من أنفع العادات وأحفظها من الأمراض التناسلية ، فإن القلفة بتغطيتها لرأس العضو تختزن في طيها الاقذاء وتكون موطناً للجراثيم الضارة ، وغسلها من باطنها مرات في اليوم من الأمور المتعذرة ، فإزالة هذه القلفة مما يندب إليه قانون الصحة ؛ وقد علم أن بقاءها في الأمم التي لم تعتد إزالتها قد كان سبباً في انتشار الأمراض السرية ، وهذه الأمراض لم تعرف في بلاد المسلمين إلا بعد اختلاطهم بجاليات الأمم من طريق العدوى

على أن الاسلام لم يوجب على أهله الاختتان إيجابا كما هو مذهب الامامين أبو حنيفة ومالك ولم يجعله شرطاً للاسلام ، فهو في نظره سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا وإن شاءوا تركوه

أما للنساء فلم يصل إلى درجة السنة في مذهب الامامين السابقين ، ولكنه عندهما كرامة لهن فقط . لذلك تجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم ؛ فالاتراك كافة والمغاربة والايرانيون والهنود وغيرهم لا يعملون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم

والعادة أن الاختتان يكون في السنين الأولى من الطفولة بين ثلاث وعشر غالباً ، وليس فيه كبير مشقة ولا يتوقع من ورائه خطر إذ أنه لا يتعدى قطع الجلدة الزائدة المغطية للعضو مع عدم المساس بالعضو نفسه ، ناهيك أنه يعمل بواسطة العارفين ، واختتان الكبار كاختتان الصغار ليس فيه أقل ضرر

بقيت مسألة ربما تهم الذين يريدون الدخول في الاسلام جماعات غفيرة وهم كبار في السن ، وهي أن يعرفوا ما حكم الاسلام فيهم ، فإلى هؤلاء نوجه قول الحسن البصري رضي الله عنه ، وهو إمام الأئمة المجتهدين ، قال العلامة ابن قدامة الحنبلي في المجلد الأول من كتابه (المغني) في الصفحة السبعين عن الختان ما يأتي :

« والحسن يرخص فيه ويقول : إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن . ويقول : أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختتنوا »

وهذا ما رأينا أن نأتي به من حكم الدين الاسلامي في أمر الختان والحجاب ، وقد تبين أن واحداً منهما لا يتأتى أن يكون عقبة في سبيله

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »

مشيخة الأزهر

رأي أستاذ فرنسي في رواية (شهرزاد)

الأستاذ لوني بو (Lugne-pœ) مؤسس مسرح الأوفر في باريس يعتبر بحق أحد الأركان التي قام عليها المسرح الحديث في أوربا وهو الذي أخرج رواية (سالوميه) لأسكار وايلد سنة ١٨٩٢ ، وعرف الفرنسيين بابسن ومترلنك ، ورأيه في الأدب المسرحي له من غير شك وزانته وقيمته . كتب خطابا إلى ناشر (شهرزاد) للأستاذ توفيق الحكيم جاء فيه عن هذه الرواية : « لقد قال : (لكنت) (واضع مقدمة الرواية) فأحسن القول . والرواية تستحق أن تمثل على المسرح الفرنسي في ذوق وفطنة . وهي تبقى بعد كل شيء رائعة الجمال شديدة العمق » .

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النتائج السياسية للحرب العظمى

تأليف رمزي ميور

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة منشستر سابقاً

وترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائية

كتاب قيم يبحث بحثاً علمياً منطقياً في القوى والعوامل الخفية التي كانت تسيطر على أوربا والعالم أجمع منذ أوائل هذا القرن والتي أدت إلى اشتعال نار الحرب العظمى وعينت شروط التسوية التي أعقبتها ، وهو يشرح ما في هذه التسوية من أغلاط ويتنبأ بالحوادث التي وقعت في العالم في المدة الأخيرة ونقضت شروط هذه التسوية ، وقد أضاف إليه المترجم فصلاً في حوادث الست السنين الأخيرة في الصين والحبشة وألمانيا وبلاد البلقان والشرق الأدنى . فهو لذلك كتاب لا غنى عنه للعالم والطالب والقارئ العادي ، والكتاب يقع في نحو أربعمائة صفحة ، وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جميل مصقول ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومن المكاتب الشهيرة ، وثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد